تطور الدعوة الإسلامية
في شبه القارة الهندية
(دراسة وصفية تاريخية)

بقلم

د/ السيد حسين عبد الباري سليمان

كبير أئمة بوزارة الأوقاف المصرية

من ٥١١ إلى ٦٠٦

The Development Of The Islamic Call In The Indian Subcontinent (Historical Descriptive Study)

Dr. Hussein Abdel Bari Suleiman

Senior imam at the Egyptian Ministry of Awqaf

تطور الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية
(دراسة وصفية تاريخية)

السيد حسين عبد الباري سليمان
كبير أئمة بوزارة الأوقاف المصرية
البريد الإلكتروني:Ahmed.anwar.khalil@gmail.com

ملخص البحث:

تتمتع شبه القارة الهندية بأنها فسيحة الأرجاء، واسعة الأطراف، وكثرة الظواهر الطبيعية، لذا اكتسبت موقعًا جغرافيًّا ممتازًا، وأدى اتساع مساحتها إلى كثرة اللغات، واللهجات، وبالتالي كثرة الملل والنحل والأديان، كالهندوسية، والبوذية، والسيخية، وغير ذلك، فلم تجمعهم لغة واحدة، ولا دين واحد، على أن علاقة المسلمين بالهند تعود إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنهم، فقد ورد ذكر الهند في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ولقد دخل الإسلام هذه البلاد في القرن الأول الهجري على يد الصحابة والتابعين، الذين نشروا دين الله في جميع أقطار الدنيا، وقد تعاقبت على شبه القارة الهندية دول حاكمة، استطاع ملوكها توسيع رقعة الفتوحات الإسلامية، وظلت هذه البلاد تحت حكم المسلمين قرابة تسعة قرون من الزمان، ومع بدايات النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي بدأ الضعف يدب في هذه البلاد، تزامنًا مع ظهور شركة الهند الشرقية، والتي كانت مقدمة للاحتلال البريطاني، وقد عمل هذا المستعمر على نشوب الخلاف بين المسلمين والهندوس، حتى اضطر بعض المسلمين من المثقفين والمفكرين والسياسيين إلى المناداة باختيار دولة لهم، فتم تقسيم شبه القارة الهندية إلى الهند وباكستان، وقد مر على شبه القارة الهندية طوال هذه القرون دعاة وعلماء مصلحون بذلوا كل ما لديهم في سبيل إعلاء كلمة الله، وإحياء السنة النبوية المشرفة، والتاريخ حافل بجهودهم العلمية، والأدبية، والثقافية، والاجتماعية، والمطالع لسير هؤلاء الأجلاء يجد ذلك الأمر واضحًا جليًّا، وكذلك آثارهم العلمية، ودورهم الحضاري يشهد بذلك.

الكلمات الافتتاحية: الدعوة الإسلامية– شبه القارة الهندية– الاستعمار البريطاني– الدعاة والعلماء –المساهمات العلمية

The Development Of The Islamic Call In The Indian Subcontinent (Historical Descriptive Study)

Hussein Abdel Bari Suleiman
Senior Imam At The Egyptian Ministry Of Awqaf.
Eemail: Ahmed.anwar.khalil@gmail.com

Abstract:

The Indian subcontinent is vast, wide, with large expanse of territory, and many natural phenomena, so, it gained an excellent location and the expansion of its area led to the multiplicity of languages, dialects, Hence the abundance of religions, Beliefs, and Faiths, such as Hinduism, Buddhism, Sikhism, and so on. Neither one language nor one religion united them.

The relationship of Muslims with India dates to the time of the Prophet, May God bless him and grant him and his Companions peace. Hadiths of the Messenger May God bless him and grant him peace mentioned India lots.

Islam entered this country in the first century Hijri (AD) by the hands of the companions and followers who spread the religion of Allah in all countries of the world.

The Indian subcontinent had successive ruling countries whose kings were able to expand the area of Islamic conquests. These countries have been under the rule of Muslims for nearly nine centuries, and with the beginnings of the second half of the seventeenth century Hijri (AD), weakness began to appear in these countries, coinciding with the emergence of the East India Company which was a prelude to the British occupation (British Raj) and this colonizer worked on the outbreak of the dispute between Muslims and Hindus to the extent that some Muslims intellectuals, thinkers, and politicians were forced to call for the choice of a state for them. So, the Indian subcontinent was divided into two states: India and Pakistan.

Throughout these centuries and over the Indian subcontinent, preachers and reformer scholars have made every effort to raise the message of Allah and the honorable Prophetic Sunnah. History is full of their scientific, literary, cultural, and social efforts. Anyone learns about biographies of these eminent persons will find this matter very clear, as well as their scientific effects, and their present role testify to that.

key words:- The Islamic Call- The Indian Subcontinent- British Colonialism- Preachers And Scholars- Scientific Contributions

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغُر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلينا وعلى عباد الله الصالحين.

أما بعد،،،

فإن الدعوة إلى الله تعالى من أجلِّ شرائع الإسلام الحنيف، الذي بُعث به لبنة التمام، ومسك الختام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه الدعوة ضاربة بجذورها في عمق التاريخ البشري، فليست كما يظن البعض، ويعتقد أنها نشأت من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا خلاف ما جاء في القرآن والسنة من قصص الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله تعالى لتبليغ دينه، وشرائعه إلى العالمين.

والناظر في تاريخ الصحابة الكرام يجد أنهم قد جابوا الأرض شرقًا وغربًا، شمالًا وجنوبًا، فلم يتركوا مكانًا يستطيعوا الوصول إليه إلا ودخلوه داعين لدين الله عز وجل، فكانت حياة الصحابة كلها قائمة على الدعوة إلى الله تعالى، فمن بداية إيمان أحد الصحابة يتحرك لهذا الدين، ولهذه الدعوة المباركة، فمنذ أن يشعر أحدهم بحلاوة الإيمان يريد أن ينقل هذا الشعور لجميع الخلق، هؤلاء هم من حملوا على أكتافهم أمانة الرسالة، وأمانة الدعوة، وأمانة التبليغ، هؤلاء هم من علموا أهل الأرض جميعا الإسلام.

وإن من البلاد التي اهتم المسلمون بفتحها شبه القارة الهندية، ويرجع فضل انتشار الدعوة الإسلامية في هذه البقعة الواسعة الأرجاء، إلى دعاة من المسلمين العرب، والهنود الذين تشبعوا بروح الإسلام السمح، وبذلوا جهودًا جبارة في سبيل نشر دين الله المتين، في كل بقعة نزلوا فيها، وقد مر على تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند حتى الآن أربعة عشر قرنًا من الزمان، بينما مر ثلاثة عشر قرنًا على قيام أول دولة عربية في السند، وظلت الهند تحت حكم المسلمين أكثر من ثمانية قرون ونصف القرن، أي: من قيام

الدولة الغزنوية سنة (٣٩٢هـ)، ثم استمر حكم الإنجليز في شبه القارة الهندية لمدة قرن من الزمان، وظلت هذه الدعوة الإسلامية متمكنة في هذا البلد المترامي الأطراف، على رغم تقلبات الزمان، وتطورات الأحداث، ولم تفلح المحاولات العديدة التي بذلها مناهضوها لمنع انتشارها، واستقرارها، وتطورها، وتفصيلًا لهذا الإجمال، وتدليلًا على أهمية هذا البحث عن وصول الدعوة الإسلامية، وانتشارها في شبه القارة الهندية بجهود الدعاة العرب، والهنود، أردت كتابة هذا البحث المتواضع، محاولة مني أن أضيف بحثًا جديدًا في تاريخ الدعوة الإسلامية، ومن هنا تبرز أهمية هذا الموضوع.

أسباب اختيار الموضوع:

١- الوضع الجغرافي والسكاني لشبه القارة الهندية.

٢- اهتمام الصحابة منذ العهد الأول بفتح بلاد الهند، حيث أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه.

٣- مكانة شبه القارة الهندية في حفظ العلوم الدينية والشرعية على مر التاريخ والعصور.

منهج البحث:

١- المنهج الاستقرائي: حيث قمت بتتبع الأحداث التاريخية واستقرائها.

٢- المنهج الوصفي: حيث قمت بدراسة الظواهر، أو المشكلات العلمية من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية.

٣- المنهج التاريخي: وذلك عن طريق مُطالعة المعلومات أو البيانات التي دُوِّنت في الفترات الماضية، وتنقيحها ونقدها بحياد وبموضوعية.

خطة البحث:

قد جاء هذا مشتملًا على مقدمة وسبعة مباحث وخاتمة.

أولًا: المقدمة:

واشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث فيه.

ثانيًا: المباحث:

المبحث الأول: جغرافية شبه القارة الهندية.

المبحث الثاني: إطلالة عامة على الوضع الديني في شبه القارة الهندية قبل وصول الإسلام إليها.

المبحث الثالث: تاريخ الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية.

المبحث الرابع: المسلمون في شبه القارة الهندية.

المبحث الخامس: التعليم في شبه القارة الهندية.

المبحث السادس: مساهمة علماء شبه القارة الهندية في الثقافة الإسلامية.

المبحث السابع: مساهمة علماء شبه القارة الهندية في نهضة العلوم الإسلامية والعربية.

* * *

المبحث الأول: جغرافية شبه القارة الهندية

تقع الهند في جنوب قارة آسيا، وتصل مساحتها تقريبا إلى ثلاثة ملايين ومائة وست وستون ألف كيلو متر مربع، أي أنها تشكل حوالي (٦،٩%) من المساحة الكلية لقارة آسيا، وتمتد بين دائرتي عرض (٨-٢٢) شمالا لمسافة تصل إلى (٢٩٠٠ كم) من الشمال إلى الجنوب، وبين خطي طول (٩٨-٩٨) شرقًا لمسافة تصل إلى (٣٠٠٠ كم) من الشرق إلى الغرب[١]، وقد أدى اتساع مساحة الهند إلى تزايد أطوال حدودها السياسية سواء الحدود القارية أو البحرية، إذ يبلغ طول حدودها السياسية على اليابس حوالي (٥٠٠٠ ميل) في حين تصل حدودها علي البحرية إلى حوالي (٤٠٠٠ ميل) تقريبا[٢].

هذا إلى جانب الكثير والكثير من الجزر التي تتناثر حولها من جميع الجهات البحرية.

ورغم أن الهند تبدو شبه محاصرة بالظواهر الطبيعية الممثلة في المسطحات المائية في الشرق والغرب والجنوب، والصحراء شديدة الجفاف، والحائط الجبلي شاهق الارتفاع والممثل في جبال الهيمالايا في الشمال، فإن الهند لا تؤلف وحدة ثقافية وعرقية واحدة، حيث تتعدد العناصر والأجناس التي تشكل سكانها، وتتعدد بها الديانات واللغات واللهجات التي تتباين من ولاية إلى أخرى، حيث يستحيل تفاهم الهنود بأية لغة من لغاتهم المحلية، ومن ثم لا توجد لغة قومية رسمية للبلاد، فلا زالت الإنجليزية هي اللغة الرسمية حتى

---

(١) محمد خميس الزوكة: آسيا [دراسة في الجغرافية الإقليمية] (ص٣٧٥) الإسكندرية سنة (١٩٩٨م)، جودة حسنين جودة ، محمد خميس الزركة: جغرافية أوراسيا الإقليمية (٥٢٠) الإسكندرية سنة (١٩٨٨م).

(٢) محمد خميس الزوكة: آسيا، (ص٣٧٥ -٣٧٧)، جودة حسنين، حمد خميس: جغرافية أوراسيا الإقليمية (ص٥٢٥، ٢٦٥).

اليوم[١]، ولكن بعد تقسيم شبه القارة الهندية اهتمت الوزارات المتعاقبة بتأصيل اللغة الهندية القديمة (السنسكريتية) لكي تكون لغة المخاطبة والمكاتبات والدراسة في المدارس والجامعات، وتكون لغة البلاد القومية وتحل محل الإنجليزية[٢].

* * *

(١) محمد خميس: آسيا (ص٣٧٥) ، جودة حسنين جودة ، محمد خميس: جغرافية أوراسيا الإقليمية (ص٥٢٠، ٢٦٥).

(٢) مستفاد من جريدة "الرائد" الهندية عند جمادي الآخرة مقال نافذة على الهند (١٩٩٩م) محمد يونس.

المبحث الثاني: إطلالة عامة على الوضع الديني في شبه القارة الهندية قبل وصول الإسلام إليها

تموج الهند بمختلف الملل والنحل، والمذاهب والحركات المتعارضة، والأديان القديمة، فالهند وطن المتنبئين والمتألهين الذين تصف ألسنتهم الكذب، ذلك أن الهند في طبيعتها الدينية لا تفترق عن طبيعتها المناخية تلك المتنوعة والمتلونة بألوان أشبه ما تكون بقوس قزح.

وفي الهند من الفلاسفة والمتصوفة الكثير، وتسع البلاد في جنباتها الفساح وجنبا إلى جنب الهندوسية، والبوذية، والمسيحية، واليهودية، وكذلك الإسلام، وفيها مذاهب أخرى ليس لها من الأتباع إلا القليل.

ومن هنا سوف يكون الحديث إن شاء الله تعالي في هذا المبحث عن أديان الهند الكبرى، وما تبعها من مذاهب ونحل ظهرت كلها في شبه القارة الهندية.

أولًا: الهندوسية[١]:

هي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وقد تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر، وهي ديانة تضم القيم الروحية والأخلاقية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية.

المؤسس:

لا يعرف لها مؤسس معين ولا منظم، بل لا يعرف لكتبها مؤلفون على وجه الدقة واليقين، فلقد تم تشكيلها على مراحل طويلة من الزمن.

وقيل: بل الآريون الذي قدموا الهند في القرن الخامس عشر قبل الميلاد هم المؤسسون، وقد تطورت في القرن الثامن قبل الميلاد على أيدي الكهنة

---

(١) أ.د/ رؤف شلبي: الأديان القديمة ط ثانية الشروق (ص٧٨) د. أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى (ص٨٥) ط النهضة المصرية ط سادسة، حقائق عن الهند منشورات قلم الاستعلامات الهندي.

البراهمة، الذين يزعمون بأن في طبائعهم عنصرا إلهيًّا، ثم تطورت مرة أخري عن طريق قانون منو في القرن الثالث قبل الميلاد.

أشهر الكتب:

للهندوسية عدد هائل من الكتب، ولكنها عسيرة الفهم، ولها شروح ومختصرات، وكلها عندهم مقدسة:

أ- الويدا: وفيه مدارج الارتقاء للحياة العقلية من السذاجة إلى الشعور الفلسفي، وفيها تأليها يصل إلى وحدة الوجود، وهو يألف من أربعة أجزاء، وهي:

- الريج ويدا: وفيه ذكر لإله الآلهة "إندرا" ثم لإله النار "أغني" ثم الإله "فارونا" ثم الإله "سورية" إله الشمس.

- ياجور ويدا: ويتلوه الرهبان عند تقديم القرابين.

- ساما ويدا: وهي عدة أناشيد تتلي أثناء إقامة الصلوات.

- آثار ويدا: وهو عبارة عن عدة مقالات من الرقي والتمائم لدفع السحر، والخرافة، والتوهم، وكل واحد من هذه الكتب يشتمل على أربعة أجزاء، وهي:

- سمهتا: تشمل مذهب الفطرة، وأدعيته كانت تقدم للآلهة قبل زحف الآريين البراهمن، ويقدمها البراهمة للمقيمين في بلادهم مبينة أنواع القرابين.

- آبانيشادات: وهي الأسرار والمشاهدات النفسية للعارفين من الصوفية.

ب- قوانين "منو": ووضعت في القرن الثالث ق. م في العصر الثاني للويدا، عصر انتصار الهندوسية على الإلحاد والذي تمثل في الجينية والبوذية، وهذه القوانين عبارة عن شرح للويدات يبين معالم الهندوسية، ومبادئها، وأسسها.

نظرتهم إلى الآلهة:

- التعدد: فيقولون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إله يعبد كالماء، والهواء، والأنهار، والجبال.

- التثليث: في القرن التاسع ق. م جمع الكهنة الآلهة في إله واحد أخرج العالم من ذاته، وهو الذي أسموه: براهما من حيث الموجد، فشنو من حيث هو حافظ، سيف من حيث هو مهلك، فمن يعبد أحد الآلهة الثلاثة فقد عبدها جميعا، أو عبد الواحد الأعلى، ولا يوجد أي فارق بينهما، وهم بذلك فيما أرى أنهم فتحوا باب التثليث للنصارى.

ويلتقي الهندوس على تقديس البقرة، ويعتقدون بأن آلهتهم قد حلت في إنسان اسمه كرشنا، وقد التقي الإله بالإنسان، وهم يتحدثون عن كرشنا كما يتحدث النصارى عن سيدنا عيسى عليه السلام، وهو مبرأ من ذلك.

وقد عقد الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله مقارنة بينهما، مظهرا التشابه العجيب، وإن شئت قل التطابق، وتساءل رحمه الله في آخر المقارنة قائلا "وعلى المسيحيين أن يبحثوا عن أصل دينهم"[١].

عقائدهم[٢]:

تظهر معتقداتهم في الكارما، وتناسخ الأرواح، والانطلاق، ووحدة الوجود.

أ- الكارما:

ويُطلق عليه قانون الجزاء، أي: أن نظام الكون إلهي قائم علي العدل المحض، هذا العدل الذي سيقع لا محالة، إما في الحياة الحاضرة، أو الحياة القادمة، وجزاء حياة في حياة أخرى، والأرض هي دار الابتلاء، كما أنها دار الجزاء والثواب.

ب- تناسخ الأرواح:

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة: مقارنات الأديان (ص ٢٤) ط دار الفكر العربي، وينظر: الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الرياض (ص٣٣هـ) سنة (١٣٩٢هـ).

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل (٧٨٥/٢)، ط مطبعة الأزهر (١٩٥٥م) بتعليق د. محمد بن فتح الله بدران.

وأطلق عليها تعبير آخر، وهو تجوال الأرواح، أو تكرار المولد، وقد نسب العلامة الشهرستاني أصل الفكرة إلى الفرقة الجرنانية من الصابئة، وقال "إن التناسخ:

هو تكرار الأكوار والأدوار إلى مالا نهاية، والثواب والعقاب في هذه الدار، لا في دار أخرى، والأعمال التي نحن فيها إنما هي أجزية على أعمال سلفت منا في الأدوار الماضية.

ويعني ذلك عندهم أن الإنسان إذا ما مات يفني منه الجسد، وتنطلق الروح لتتقمص، وتحل في جسد آخر، بحسب ما قدّم من عمل في حياته الأولي، وتبدأ الروح في ذلك دورة جديدة.

ج- وحدة الوجود:

التجريد الفلسفي ارتقى بالهنادكة إلى أن الإنسان يستطيع خلق الأفكار، والأنظمة، والمؤسسات، كما يستطيع المحافظة عليها أو تدميرها، وبهذا يتحد الإنسان مع الآلهة، وتصير نفسه عين القوة الخالقة، وعندهم الروح أزلية سرمدية مستمرة، وغير مخلوقة، والعلاقة بين الإنسان وبين الآلهة كالعلاقة بين شرارة النار، والنار ذاتها، كالعلاقة بين البذرة والشجرة، وهذا الكون كله ليس إلا ظهورًا للوجود الحقيقي، والروح الإنسانية جزء من الروح العليا.

ومن عقائدهم أيضًا أن الأجساد تحرق بعد الموت؛ لأن ذلك يسمح بأن تتجه الروح إلي أعلي، وبشكل عمودي لتصل إلى الملكوت الأعلى في أقرب زمن، كما أن الاحتراق هو تخليص للروح من غلاف الجسم تخليصًا تامًّا.

وعندما تتخلص الروح وتصعد يكون أمامها ثلاثة عوالم:

إما العالم الأعلى، وهو الملائكة، وإما عالم الناس، مقر الآدميين بالحلول، وإما عالم جهنم، وهو لمرتكبي الخطايا والذنوب، وليس هناك جهنم واحدة، بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بهم، والبحث في العالم الآخر إنما هو للأرواح لا للأجساد، ومما يذكر في هذه الديانة أنها تجيز للأطفال عقد

القران، ويحدث أن يموت الولد فتشب البنت في نظرهم أرملة ابتداءا، ولكن القانون الحديث في الهند كما عُلم مؤخرا منع ذلك إلا في سن الشباب.

أهم المذاهب الهندوسية:

أشرت فيما سبق أن الهندوسية مجموعة من الأفكار، والآراء، وضعها الهنود القدماء.

ولا يمت منها شيء إلي نبي مرسل، ولا إلى كتاب سماوي، حتى أصبح من المستساغ أن يطلق عليها -أي: الهندوسية- دين وضعي متطور.

وهذا مختصر عن بعض المذاهب الهندوسية التي لها مدلولات ومظاهر في دراسة أديان الهند وعقائدها المختلفة.

أ- البرهمية[١]:

تنسب إلى براهما، ويراد به الإله الموجد، وأطلق عليه الكهنة اسمين آخرين، وهما فشنو من حيث حافظ، وشيفا من حيث هو مهلك.

وقد خصص الإمام الشهرستاني بابا في كتابه "الملل والنحل" بعنوان "البراهمة" وأورد فيه حديثا عن نشأتهم ونسبتهم وصفاتهم.

ومنه نعلم أنهم ينتسبون إلى رجل عادي، ويدل كلامه أيضا على أن هذا الرجل قد عاش بعد نزول الشرائع السماوية كلها.

ويقوم البراهمة بتدريس أسفار الويدا وتعليمها، وتقديم القرابين التي لا تقبل من الناس إلا عن طريقهم.

وإذا ولد برهمي وضع في الصف الأول من صفوف الدنيا، وكل ما في العالم ملك له، ولن يدنس البرهمي بذنب ولو قتل العوالم الثلاثة.

ب- الشيفية[١]:

---

(١) الدكتور أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى (ص٥٨)، أ. محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين (١٥٧/٨- ١٥٨)، محي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية (ص٢٥٢).

وهو المذهب الذي يعبد أتباعه الإله "شيفيا" المختص بالحياة والموت، أو على عقيدتهم في التناسخ المختص بالتبديل والتحويل، إذ أن أصحاب هذه الفكرة لا يقولون بالموت الحقيقي. واخترع أصحاب هذا المذهب للإله شيفيا رموزا ترمز إلى عمله، أو اختصاصه، ويعبدونها، وقد أدى اعتقادهم بأنه سبب الخلق وعنه تصدر الموجودات.

وكذلك نرى معابد أصحاب هذا المذهب تحمل تصاوير من ذهب، أو فضة، أو حجر.

ج- الكالية[٢]:

وقد ذكر الإمام الشهرستاني في "الملل والنحل" هذا المذهب تحت عنوان "المهاكالية" وقال: لهم صنم له أربع أيد، كثير شعر الرأس، وبإحدى يديه ثعبان عظيم، وبالأخرى عصا، وبالثالثة رأس إنسان، واليد الرابعة قد رفعها، وفي أذنيه حيتان كالقرطين، وعلى جسده ثعبانان عظيمان، وله في أرض الهند بيوت ينتابها أهل ملته في كل يوم ثلاث مرات يسجدون له ويطوفون به، وله موضع يقال له "اختر"، ومنهم من يأتيه فيقيم عنده الأيام والليالي، لا يذوق شيئا يتضرع إليه ويسأله الحاجة.

أقول وهذا البيان الذي سرده الإمام الشهرستاني يتفق تماما مع الواقع المشاهد حتى في يومنا هذا، وانتشرت معابد مذهب "كالي" في جنوبي الهند وشرقيها، ويدل ذلك على سعة اطلاع الإمام الشهرستاني علي مذاهب الهند المختلفة.

ثانيًا: البوذية[١]:

---

(١) الدكتور أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى (ص٥٨)، أ. محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين (١٥٧/٨- ١٥٨)، محي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية (ص٢٥٢).

(٢) جوستاف لوبون: حضارات الهند (ص٤١٦)، الملل والنحل القسم الثاني (١٢٩٦/٤)، الدعوة الإسلامية في شبه القارة (ص ٢٥٨).

ديانة ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية في القرن الخامس قبل الميلاد، وفيها دعوة إلى التصوف، والخشونة، ونبذ الترف، والمناداة بالمحبة، وفعل الخير، لكنها لم تلبث بعد موت مؤسسها أن تحولت إلى عقائد باطلة ذات طابع وثني.

ولقد غالي أتباعها في المؤسس حتى ألّهوه.

المؤسس: أسسها جوتاما سدهارتا الملقب ببوذا (٥٦٠ - ٤٨٠) قبل الميلاد.

وبوذا تعني العالم، ويلقب بيكارمون ومعناه المعتكف.

ومن وصاياه:

لا تقض على الحياة، ولا تسرق، ولا تغتصب، ولا تشرب مسكرا، ولا ترقص، ولا تحضر حفل غناء، ولا تأخذ ذهبا ولا فضة، وينقسم البوذيون إلى قسمين:

القسم الأول: البوذيون المتدينون وهؤلاء يأخذون بكل تعاليم بوذا وتوصياته.

القسم الثاني: المدنيون وهؤلاء يقتصرون على بعض التعاليم فقط.

مذاهب البوذية: للبوذية مذهبان كبيران هما:

المذهب الشمالي: وقد غالي أهله في بوذا حتى ألّهوه.

المذهب الجنوبي: وهؤلاء أقل غلوًّا في بوذا.

وأما كتبهم فتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

مجموعة قوانين في البوذية ومسالكها، مجموعة الخطب التي ألقاها بوذا، الكتاب الذي يحوي أصل المذهب والفكرة التي نبع منها.

وكتبهم ليست منزلة، ولا هم يدعون ذلك، بل هي عبارة منسوبة إلى بوذا، أو حكاية لأفعاله سجلها بعض أتباعه.

---

(١) ينظر: الشيخ محمد أبو زهرة مقارنات الأديان (ص٢٨)، أديان الهند الكبرى (ص ١٤٤)، د.عبدالمنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند (ص٥١- ٥٣).

ونصوص تلك الكتب تختلف بسبب انقسام البوذيين، فبوذيو الشمال تشتمل كتبهم على أوهام كثيرة تتعلق ببوذا كما مر ذكره، أما كتب الجنوب فهي أبعد قليلا عن الخرافات.

عقائدهم[١]:

يعتقد البوذيون أن بوذا هو ابن الله، وهو المخلص للبشرية من مآسيها، وأنه يتحمل الخطايا.

ولعلنا نلحظ من أول وهلة التوافق الكبير بين ما يعتقده هؤلاء، وما ينحله النصارى ويحيطون به شخصية السيد المسيح عليه السلام.

وقد عقد الإمام أبو زهرة رحمه الله وتعالي مقارنة بين ما يعتقده الهندوس في كرشنه، وهؤلاء في بوذا، والنصارى في المسيح، وأثبت التطابق المؤكد، ثم قال: وعلى المسيحيين أن يبحثوا عن أصل دينهم.

ويعتقد هؤلاء أن تجسد بوذا كان بواسطة حلول روح القدس على العذراء "مايا"، ويقولون: لما ولد بوذا فرحت جنود السماء، ورتلت الملائكة أناشيد المحبة للمولود المبارك.

ويعتقدون أن هيئة بوذا قد تغيرت في آخر حياته، وقد نزل عليه نور أحاط برأيه، وأضاء من جسده نور عظيم، فقال الذين رأوه ما هذا بشر إن هو إلا إله عظيم.

ويقولون: لما مات بوذا صعد إلى السماء بجسده بعد أن أكمل مهمته على الأرض، ويعتقدون أن بوذا ترك فرائض ملزمة للبشر إلى يوم القيامة، وقد أسس مملكة دينية على الأرض.

ومع تلك الوقفة مع بوذا والبوذية يكفينا هذا، وما أردت إلا رسم صورة عامة عن هذا الدين الأخلاقي.

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة مقارنات الأديان (ص٢٤) وما بعدها ط دار الفكر العربي.

ثالثًا: اليهودية في الهند:

لا نتعرض في هذا المبحث لعقائدهم، وفرقهم، وكتبهم؛ لأنها أشهر من أن تشهر وكثرة المعرفة بها تغني عن ذلك.

ولكننا نتعرض إن شاء الله تعالي لمدى انتشارها وأسباب ضآلة عددهم، ومتي وصل أول صوت لهم هناك؟

إن اليهودية هي أول الأديان السماوية التي وصلت إلى أرض الهند واستقرت فيها، فأول منطقة وصل إليها اليهود في الهند هي منطقة "مليبار"، ولا تزال توجد في بعض مدنها جاليات يهودية لها نفوذ في المجال الاقتصادي والتجاري، ويوجد أكبر المعابد اليهودية وأشهرها في مدينة "كوتشين" الواقعة في سواحل جنوبي مليبار المركز الرئيسي للجاليات اليهودية في الهند اليوم.

ويذكر بعض المؤرخين: أن اليهود بدأوا يهاجرون إلى سواحل مليبار في عهد سليمان عليه السلام بعد انهيار مدينة "أورشليم".

وتحدث الشعراء في داووينهم وقصائدهم، مثل الشاعر إبراهيم بن أسر عن قدوم اليهود إلى سواحل جنوب الهند وتبشيرهم بالدين اليهودي هناك.

وقد تسرب الضعف والوهن إلى الجالية اليهودية في مليبار أولًا حينما نشب النزاع حول وراثة زعامة الطائفة بين مختلف فرقها المذهبية، وازداد ضعفهم بعد وصول المحتل البرتغالي واستيلائهم على مجال التجارة فيها.

أسباب ضآلة عدد اليهود في الهند:

ولعل من الأسباب الرئيسية لضالة عدد اليهود في الهند وتقلص نفوذهم على رغم وصول اليهودية إليها قبل قرون عديدة، ونشاطهم البالغ في التجارة والاقتصاد، وقيام زعمائهم بالتبشير في أرض الهند، هو نزعتهم العنصرية التي تجعلهم يعيشون منعزلين عن الطوائف الأخرى، ونظرتهم المصحوبة بالترفع وحب الابتعاد عن الآخرين، وكانت لهم جاليات قوية في جنوب شبه القارة، وبعد سنة (١٩٤٨م) هاجر عدد كبير منهم إلى "دولة الكيان الصهيوني"، ثم حاولوا العودة إلى الهند بعد أن لاقوا في هذه الدولة معاملة

التفرقة من جانب يهود الغرب الذين يسيطرون علي زمام الأمور فيها على أساس اللون والجنس، ولكن لم يستطيعوا العودة إلى أرض الهند بعد أن تركوها هربا وراء سراب الإغراءات الصهيونية التي يحسبها الظمآن ماء.

وأما اليهود الذين لم يتركوا الهند فلا يزالوا يمارسون حياتهم العادية في المناطق المذكورة آنفا مع قلة عددهم الملحوظ[١].

رابعًا: المسيحية:[٢]

وأما المسيحية فقد دخلت الهند على إثر ظهورها، إذ وصل تلميذ المسيح عليه السلام ويدعي "توماس" إلى أرض الهند سنة (٢٥) من الميلاد.

وعلى ذلك تُعتبر الهند من أول بلاد العالم التي وصلت إليها المسيحية عقب ظهورها، وتوجد في الهند في مدينة "كيرلا" أتباع جميع الكنائس المسيحية من الكاثوليك، والبروتستانت، والأرثوذكس.

كما توجد جاليات مسيحية في مختلف أنحاء شبه القارة الهندية، ولهم نشاط ملحوظ في ميادين التعليم، والسياسة، والتجارة، ويعتبر جنوب ولاية "كيرلا" المركز الرئيسي للجالية المسيحية في شبه القارة الهندية.

خامسًا: السيخية[٣]:

التعريف:

ظهرت مجموعة دينية من الهنود في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي، داعين إلى دين جديد مزجوا فيه بين

---

(١) الدعوة الإسلامية في شبه القارة (ص٢٩٢).

(٢) لمحات من تاريخ العالم "جواهر لال نهرو" ط بيروت الترجمة العربية ط ثانية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى (١٣٧٧هـ، ١٩٥٨م) (ص ٤٥ – ٦٥).

(٣) راجع حضارات الهند جوستاف لوبون (ص٦١٣)، تاريخ الإسلام في الهند (ص ٢٩٢ – ٢٩٦)، مجلة الدعوة المصرية العدد (١٥) ذو الحجة (١٤٠٤هـ) سبتمبر (١٩٨٤م).

الهندوسية والإسلام ورفعوا شعار "لا هندوس لا مسلمون"، وقد ظهرت العداوة منهم للمسلمين خلال تاريخهم الطويل وبشكل عنيف، كما عادوا الهندوس بهدف الحصول على وطن خاص بهم، وذلك للاحتفاظ بالولاء الشديد لبريطانيا خلال فترة استعمار الهند.

المؤسس:

أسس هذه النحلة "ناناك" ويدعي "غورو" أي: المعلم، ولد سنة (١٤٦٩م) في قرية "ري بوي" والتي تبعد (٤٠) ميلا عن لاهور الباكستانية، وكانت نشأته هندوسية خالصة، وادعي أنه رأى الرب وأمره بدعوة البشر، وكان محبا للإسلام من ناحية مشدودا إلى تربيته وجذوره الهندوسية من ناحية أخرى، مما دفعه إلى العمل على التقريب بين الديانتين، فكان أن أنشأ دينا جديدا في القارة الهندية، ويرى بعض الباحثين أن الرجل كان مسلما في الأصل ثم ابتدع مذهبه هذا، وأنشأ المعبد الأول للسيخ في "كارتابور" بالباكستان حاليًا، وعين أحد أتباعه خليفة له قبل وفاته (١٥٣٩م). خلفه من بعده عشرة خلفاء يقال لهم المعلمون، وصار زعماؤهم يعرفون باسم المهراجا.

الأفكار والمعتقدات:

يدعون إلى التوحيد، ويسايرون المسلمين بتحريم عبادة الأصنام، ويؤكدون على وحدانية الله الخالق الذي لا يموت، ولا يقرون عبادة الشمس والأنهار والأشجار التي يعبدها الهندوس، وقد انفصلوا تدريجيا عن المجتمع الهندوسي حتى صارت لهم شخصية دينية متميزة، وأباح لهم "ناناك" لحم الخنزير، وشرب الخمر، وقد حرم لحم البقرة مجاراة للهندوس.

أصول الدين عندهم:

وأصول الدين عندهم خمسة وهي:

- ترك الشعر مرسلا بدون قص من المهد إلى اللحد، وذلك لمنع دخول الغرباء بينهم.
- أن يلبس الرجل سوارا حديديا في معصميه بقصد التذلل والاقتداء بالدراويش.

- أن يضع الرجل تحت السروال شيئا رمزا للعفة.
- أن يضع الرجل مشطا صغيرا في شعره لتمشيطه وتهذيبه.
- أن يأخذ السيخي حربة دائما أو خنجرا على الدوام، وذلك لإعطائه قوة واعتدادًا.

ويقول أحد الباحثين[١]: وهذه الأمور ليست من وضع "ناناك" بل من وضع خليفته العاشر الذي حرم التدخين على أتباعه، يقصد بهذه الأمور التميز عن الناس.

ومن عقائدهم إنكار المعجزات، ويعتقدون أن روح كل معلم تنتقل منه إلى المعلم التالي له، ويعتقدون كاعتقاد الهندوس بقانون الكارما، وفيه تتقرر حياة الإنسان المستقبلية بناء على حياته السابقة.

كتب السيخ:

للسيخ عدة كتب أهمها كتابهم المقدس، وهو العمدة عندهم، ويعتبر أساس السلطة الروحية لديهم، وهو كتاب "آدي غرانت" وهو مجموعة من الأناشيد الدينية ألفها الخمسة المعلمون الأوائل، وتبلغ نحوا من (٩٠٠٠) نشيد ديني، وضم المعلم الأخير "غوبند سنغ" (١١٥) نشيدا[٢].

الانتشار ومواقع النفوذ:

للسيخ بلد مقدس يعقدون فيه الاجتماعات المهمة وهي مدينة "أمرتسار" من أعمال البنجاب، وقد دخلت عند التقسيم في أرض الهند، ولهم في هذه المدينة أكبر معبد يحجون إليه، ويسمي "در بار صاحب"، وقد استقر بعضهم في ماليزيا، وسنغافورة، وشرق إفريقيا، وإنجلترا، والولايات المتحدة، وكندا، ورحل بعضهم في الآونة الأخيرة إلى دول الخليج بقصد العمل.

---

(١) الموسوعة الميسرة (ص ٢٨٧)، أثر البيئة في ظهور القاديانية للأستاذ الدكتور محمد شامة (ص١٨) ط أولى مطبعة دار أسامة للطبع و النشر.

(٢) الموسوعة الميسرة (ص٢٨٨).

ولديهم اعتقاد راسخ بضرورة إيجاد دولة لهم، وأن ذلك أحد أركان الإيمان عندهم[١].

سادسًا: الجينية[٢]:

التعريف:

هي ديانة منشقة عن الهندوسية، وقد ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد علي يد مؤسسها "مهاويدا" وما تزال إلى يومنا هذا.

وقد بنيت على أساس الخوف من تكرار المولد، ودعت هذه النحلة إلى التحرر من كل قيود الحياة، والعيش بعيدًا عن الشعور بالقيم، وتقوم هذه النحلة على رياضيات بدنية، وتأملات نفسية، بغية إخماد شعلة الحياة في نفوس معتنقيها.

المؤسس:

يعتبر مهاويرا المؤسس الحقيقي للجينية، وعلى يديه تبلورت المعتقدات التي ما تزال قائمة إلى يومنا هذا.

وانقسمت الجينية إلى قسمين:

أولهما: أصحاب الزي السماوي وهم العراة، ويدعون أنهم الخاصة، ويميلون إلى التقشف والزهد، ويتخذون مهاويرا قدوة لهم.

ثانيا: أصحاب الزي الأبيض، وهم طبقة العامة المعتدلين، ويتخذون من حياة مهاويرا نبراسا لهم في خدمته لوالديه، ويفعلون كل خير، ويبتعدون عن كل شر، ويطبقون المبادئ العامة.

---

(١) الموسوعة البريطانية ط (١٩٧٤)، أثر البيئة في ظهور القاديانية (ص ١٩) سابق.

(٢) تاريخ الإسلام في الهند (ص٢٨، ٥٠)، حضارات الهند (ص ٥٦٦) الفلسفة الجينية د.محي الدين الألوائي (ص ٢٠) وما بعدها، أدیان الهند الكبرى (ص ١٠٧ – ١٢٠)، حقائق عن الهند منشورات إدارة الاستعلامات الهندي، فلسفة الهند محمد عبد السلام الرامبوري.

نظرتهم إلى الآلهة:

الجينية ثورة على البرهمية، ولذا فلا يعترفون بآلهة الهندوس، وبالذات الآلهة الثلاثة "برهما – فشنو – شيفا"، ومن هنا فحركتهم سميت الحركة الإلحادية.

كما لا تعترف الجينية بالخالق العظيم، وتعترف بوجود أرواح خالدة، ولا توجد لديهم صلاة ولا قرابين، وليس للرهبنة مكانة عندهم.

عقائدهم:

من خلال ما راجعت من مراجع وأبحاث كُتبت عنهم أستطيع تحديد ستة عقائد أساسية عندهم وهي كالتالي:

أ- الكارما: يظل الإنسان يولد ويموت ما دامت الكارما متعلقة بروحه، ولا تطهر نفسه حتى تتخلص من الكارما، حيث تنتهي رغباته، وعندها يبقي حيا خالدا في نعيم النجاة، ولا سبيل لتحرير الروح منها إلا بشارة التقشف والحرمان من الملذات.

ب- النجاة: وتعني الفوز بالسرور الخالد الخالي من الحزن والألم والهموم، وتكون بالتطهر من أدران الحيوانية المادية، وترمي إلى التخلص من تكرار المولد، والموت، والتناسخ، وطريق الوصول إليها يكون بالتمسك بالخير، والابتعاد عن الشر والذنوب والآثام.

ج- تقديس كل ذي روح: تقديسًا عجيبًا، والأعجب أن الرهبان يمسكون بمكنسة ينظفون بها الطريق والمجالس خشية أن يطأ أحدهم شيئا فيه روح، ولا يعملون في الزراعة حذرًا من قتل الحشرات، والديدان الصغيرة الموجودة في التربة.

ولذلكم لا يشتركون في معركة، ولا يدخلون في قتال، خوفا من إراقة الدماء، وقتل الأحياء من البشر.

د- العواطف:

يجب عندهم قهر العواطف والمشاعر حتى لا يشعر أحدهم بالحب والكره، ولا بالحزن والسرور، فيجب أن يصل لدرجة الخمود والذهول، وينتف شعر جسده دون أن يشعر بأي ألم في ذلك.

هـ- العري: وقمة قتل العواطف الوصول لدرجة العري الذي يعتبر أهم مظاهر الجينية، حيث يمشي الشخص في الشوارع بدون كساء يستر بدنه من غير شعور بالخجل أو الحياء، وإذا تذكر أحدهم الحسن والقبح في ذلك يتهم بأنه مازال متعلقًا بالدنيا، مما يحجبه عن الفوز والنجاة.

و- الانتحار البطيء: يترك الرهبان الطعام والشراب وكل ما يغذي الجسم لعدم الإحساس بالجوع، وقطع الروابط التي تربطهم بالحياة، والوصول لهذه المرحلة يعني أن الشخص قد خرج عن سلطان جسده الفاني، والانتحار عندهم مرتبة لا يصل إليها إلا خواص الخواص من الرهبان، وهم يعملون ذلك رغبة في الخلود أو النجاة، ولا يصلون إليها إلا بعد أن يقضوا ثلاثة عشر عاما في مبادئ الجينية وتعاليمها القاسية، والعامة منهم يكتفون بأن لا يقتلوا نفسا، ولا يأكلوا لحمًا.

الانتشار ومواقع النفوذ:

الجينية كالهندوسية لم تخرج من الهند، ومعابدهم منتشرة في كلكتا، ولهم معابد في كهجورا وجبل آبو، تُعد من عجائب الدنيا زينة وزخرفة، ولا نجد ديانة تعتد بالمعابد اعتداد الجينية، ولا تجد ديانة شادت من المعابد الكبيرة الفخمة أعظم ما شادته الجينية.

ومما يلاحظ على الجينين أنهم يعملون في التجارة ومعظمهم من الأغنياء الأمر الذي ساعدهم على نشر الكتب والتأثير في الثقافة الهندية.

* * *

المبحث الثالث

تاريخ الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية

يرجع فضل انتشار الدعوة الإسلامية في هذه البقعة الواسعة الأرجاء إلى دعاة من المسلمين العرب والهنود الذين تشبعوا بروح الإسلام السَّمْح، وبذلوا جهودًا جبارة في سبيل نشر دين الله المتين في كل بقعة نزلوا فيها، وتعود علاقة المسلمين بالهند إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فلقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام يعرفون الهند والأشياء الهندية، وقد جاء ذكر بعض من ذلك في مناسبات متعددة على لسانه صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى أَرْضِ الْهِنْدِ»(١)، وجاء عنه أيضًا: "لَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَرْضِ أَهْبَطَهُ إِلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَهُوَ مِثْلُ الْفَلَكِ مِنْ رِعْدَتِهِ، ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ، يَعْنِي الرُّكْنَ، وَهُوَ يَتَلَأْلَأُ مِنْ شِدَّةِ بَيَاضِهِ، فَأَخَذَهُ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ أُنْسًا بِهِ ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ الْعَصَا، فَقِيلَ لَهُ: تَخَطَّ يَا آدَمُ، فَتَخَطَّى، فَإِذَا هُوَ بِأَرْضِ الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ، فَمَكَثَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَوْحَشَ إِلَى الرُّكْنِ، فَقِيلَ لَهُ: احْجُجْ، قَالَ: فَحَجَّ، فَلَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، فَقَالُوا: بِرَّ حَجُّكَ يَا آدَمُ، لَقَدْ حَجَجْنَا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَكَ بِأَلْفَيْ عَامٍ"(٢)، وجاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَهْدَى مَلِكُ الْهِنْدِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرَّةً فِيهَا زَنْجَبِيلٌ فَأَطْعَمَ أَصْحَابَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً وَأَطْعَمَنِي مِنْهَا قِطْعَةً»(٣)، وأفرد النسائي في سننه بابًا عن غزوة الهند، وفيه تبشير الذين سيفتحون الهند بالأمن والحفظ من نار جهنم، فأخرج عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «وَعَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ الْهِنْدِ، فَإِنْ أَدْرَكْتُهَا أُنْفِقْ فِيهَا نَفْسِي وَمَالِي، فَإِنْ أُقْتَلْ كُنْتُ مِنْ أَفْضَلِ

---

(١) الحاكم: المستدرك (٢/٥٩١) رقم (٣٩٩٤).

(٢) الأزرقي: أخبار مكة (١/٣٩).

(٣) الحاكم: المستدرك (٤/١٥٠) رقم (٧١٩٠).

الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ أَرْجِعْ فَأَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ الْمُحَرَّرُ»[١]، وأخرج عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا اللَّهُ مِنَ النَّارِ: عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ، وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَام"[٢]، فكان لذلك التوجيه النبوي أثر فعّال في توجيه أنظار المسلمين لهذه البقاع، وما أن آلت الخلافة الإسلامية إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى أسند أمر البحرين وعُمان إلى الوالي عثمان بن أبي العاص الثقفي[٣]، عام (١٥هـ) ولم يلبث هذا الوالي أن وجّه أخاه الحكم إلي البحرين في حين توجه هو إلى عمان، ثم طلب من شقيقه في البحرين التوجه علي رأس جيش إلي منطقة (تانة)[٤]، الواقعة إلى الشمال من مدينة "بومباي" الحالية في الهند، كما وجه شقيقه

---

(١) النسائي: السنن، كتاب الجهاد باب غزوة الهند رقم (٣١٧٣)، وللمزيد ينظر: البلاذري: فتوح البلدان (ص ٤٢٠ – ٤٣٣)، ياقوت الحموي : معجم البلدان (٤٧٩/٥).

(٢) النسائي: السنن، كتاب الجهاد، باب غزوة الهند رقم (٣١٧٥).

(٣) عثمان بن أبي العاص الثقفي من خيار الصحابة غزا ثلاثة من بلاد الهند، قال النووي في تهذيب الأسماء اللغات: روي عن النبي أحاديث، عزله عثمان بن عفان في سنة تسع وعشرين وجعل مكانة عبد الله بن عامر فسكن بعدها البصرة، ومات عثمان بن أبي العاص زمن معاوية سنة إحدى وخمسين أو خمس وخمسين، ومن أولاده محمد بن عثمان وعبد الله وأم عبد الله بنت عثمان وفتوحاته مذكورة في كتب الفتوح والتواريخ. ينظر: طبقات ابن سعد (٥٠٨/٥ – ٥٠٩)، وأسد الغابة (٣٧٣/٣)، والإصابة (٢٢١/٤)، تهذيب الأسماء (١٢٩/٧).

(٤) تانة بلدة على ساحل البحر متصلة ببومباي في شمالها، قال أبو الريحان والنسبة إليها تانشي ومنها الثياب التانشية. ينظر: أبو المعالي أطهر: رجال السند والهند (ص ٣٠) دار الأنصار القاهرة بدون.

الآخر المغيرة إلي "الديبل"[١] الواقعة على مقربة من مدينة "كراتشي" الحالية في باكستان[٢]، وقد تكررت هذه المحاولات في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث وجه عبد الله بن عامر والي العراق أحد قادته وهو "حكيم بن جبلة"[٣] إلي هذه البقاع فاحرز نجاحًا باهرًا. وما أن عاد هذا القائد حتى أرسله والي العراق إلي الخليفة عثمان ليصف هذه البلاد، وقد وصفها وصفا دقيقا جعل الخليفة يتراجع عن إتمام فتح هذه البقاع[٤]، وعندما آلت الخلافة الإسلامية إلي علي بن أبي طالب رضي الله عنه عاود التفكير في استكمال فتح بلاد الهند، فأرسل أحد قادته[٥]عام (٣٨هـ) إلي بلاد السند، فتقدم بقواته حتى وصل إلى منطقة تسمى القيقان، وسرعان ما ألحق به

---

(١) الديبل: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند، ويقال لها اليوم بمهجور في جنوب كراتشي على ثلاثة وعشرين ميلا. رجال السند والهند (ص ٣٣).

(٢) البلاذري: فتوح البلدان (ص٢٠)، أبو المعالي أطهر: العقد الثمين (ص٥٠)، دار الأنصار القاهرة بدون.

(٣) حكيم بن جبلة أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وليس له رواية خبر يدل على سماعه منه، وكان صالحًا مطاعًا في قومه، بعثه عثمان رضي الله عنه إلى السند. وللمزيد ينظر: الأعلام يمن في تاريخ الهند من أعلام (٣٢/١) لمؤرخ الهند العلامة عبد الحي الحسني دار ابن حزم (١٤٢٠هـ) (١٩٩٩م)، أبو المعاطي أطهر: رجال السند والهند (ص ٣٨٨)، أبو المعاطي أطهر: العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين (ص ٧٢).

(٤) أحمد الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (٥٧/١ – ٥٩) طبعة الآداب القاهرة بدون، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (١٣/١٩) طبعة المكتب الإسلامي بيروت ثانية (١٤١٨هـ)، أبو المعالي أطهر : العقد الثمين (ص ٧٢)، رجال السند (ص ٣٨٨)، الأعلام (ص ٣٢).

(٥) يقال لهذا القائد تاعز بن دعر، وهو رجل من التابعين جاء إلى السند في أيام علي بن أبي طالب، وليس له اسم في كتب التراجم، أبو المعالي أطهر: العقد الثمين (ص ١٤).

جيشًا آخر بقيادة الحارث بن مرة العبيدي[١] الذي فقد حياته مع كثير من خيرة قواده رغم نجاحه في إحراز انتصارات عديدة[٢].

وقد خطت فتوحات الهند خطوات واسعة في عهد الدولة الأموية، ففي عهد الخليفة معاوية رضي الله عنه نجد أن والي العراق عبد الله بن عامر قد أرسل أحد رجاله وهو "عبد الله بن سوار العبدي"[٣] عاملا علي ثغر الهند، فأتم فتح بلاد القيقان[٤].

وعاود إلى العراق بعد أن استخلف عليها عام (٤٥هـ) "كرز بن أبي كرز العبدي"[٥]، وقد تكررت المحاولات لإتمام فتح هذه البقاع، ولكن رغم الجهود

---

(١) الحارث بن مرة العبيدي توجه إلي ثغر الهند بإذن علي رضي الله عنه، فظفر وأصاب مغنما وقتل ومن معه في القيقان (٤٢هـ). ينظر: أبو المعالي أطهر: رجال السند والهند (ص ٣٧٨ – ٣٨٩)، العقد الثمين (ص ٨٤).

(٢) أبو المعالي أطهر: العقد الثمين (ص ٨٣-٨٢)، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (١٣/١٤)، البدري: فتوح البلدان (ص ٤٢١)، محي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية (ص٣٤٩) دار القلم دمشق أولى (١٤٠٦هـ)، رجال السنة والهند (ص ٣٧٨).

(٣) عبد الله بن سوار غزى الهند ووليها ثلاث مرات، واستشهد بها، ذكره ابن حجر في من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، وتوفي عام (٤٧هـ). ينظر: رجال السند والهند (ص ٤٤٢ – ٤٤٣)، العقد الثمين (ص ٩١- ٩٤).

(٤) القيقان من بلاد السند مما يلي خراسان، وهي ناحية شمالية غربية يقال لها اليوم قلات، والخيل القيقانية مشهورة حتى اليوم. رجال السند والهند (ص ٣٧٩).

(٥) كرز بن أبي كرز ، قيل من التابعين، وقيل من أتباعهم، وكان من العباد الزهاد، وذكر ابن حبان في الثقات أنه قدم مكة، وكان مستجاب الدعوة، وله أخبار عند أبي نعيم في الحلية، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة أنه من أهل الكوفة وذكر أحواله وفضائله مفصلة. ينظر رجال السند والهند (ص ٤٨٢، ٨٨١)، العقد الثمين (ص١٠٣، ١٠٥)، تهذيب التهذيب (١١١/١)، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (١/١٩)، البلاذري: فتوح البلدان (ص ٤٢١)، صفة الصفوة: ابن الجوزي (٥٥٧

المتكررة من قبل المسلمين، والمقاومات العنيفة التي أبداها سكان تلك البلاد، إلا أن المسلمين نجحوا في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان في إتمام هذا العمل، عندما أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق عدة حملات قتالية لإخضاع هذه البلاد، كان من أشهرها حملة محمد بن القاسم(١)، الذي نجح في السيطرة على جزء كبير من بلاد الهند وقد تم أكبر نجاح للمسلمين في الهند في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي عين علي الهند عمرو بن مسلم الباهلي(٢)، وكان لحسن سياسته أن قوي أمر المسلمين، وأسلم عدد كبير من أمراء البلاد وكبار رجالها، وإكراما لهم قد أبقاهم الخليفة في مناصبهم(٣)، وقد تطور الأمر في عهد الدولة العباسية على غير ما يتمني المسلمون، فما إن ظهر الخلاف بين القبائل العربية، أو بين العرب وغير العرب "الموالي" حتى انتقل هذا الخلاف وهذه العصبية إلى الهند، مما أدى

– ٥٥٨) دار ابن خلدون إسكندرية بدون، الذهبي: سير أعلام النبلاء (٣١٥/٦ – ٣١٦) دار الفكر بيروت ط أولى (١٩٩٩م).

(١) ولد محمد بن القاسم بالبصرة، وقد أمره الحجاج بالسير إلى بلاد الهند، وكان معروفا بالصلابة والقوة ففتحها، أحرز فيها نجاحًا باهرًا وهو في السابعة عشرة من عمره. ينظر: الإعلام (٣٥/٥ – ٣٩)، رجال السند والهند (ص٥٠٠)، العقد الثمين (ص١٣٥))، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (١٤/١٩ – ١٥)، البلاذري: فتوح البلدان (ص ٤٣٦)، الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (ص ٥٨ – ٥٩).

(٢) عمرو بن مسلم الباهلي استعمله عمر بن عبد العزيز على بلاد الهند سنة (١٠٠هـ) وكتب إلى ملوك البلاد يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا وبقي الملوك مسلمين وارتدوا في أيام هشام بن عبد الملك وعمر بن مسلم أخو قتيبة بن مسلم الباهلي. ينظر: الأعلام (٤٨/١)، رجال السند والهند (ص ٤٦٤).

(٣) محي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية (ص ١٣٩)، البلاذري : فتوح البلدان (ص ٤٢٩)، أحمد الساداتي: تاريخ المسلمين في شبة القارة الهندية (٩٨/١)، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (١٥/١٩).

إلى ضعف قوة المسلمين، وضياع هيبتهم، وقد استغل الهنود ذلك لاسترداد بعض أراضيهم من أيدي المسلمين ، كما تفككت البلاد إلى دويلات عديدة شأنها في ذلك شأن الدولة العباسية التي عانت مما يعرف باسم الدويلات المستقلة[١].

ولا شك أن الدولة العباسية، وإن كانت قد عانت الأمرَّين مما يعرف باسم الدويلات المستقلة، إلا أن هذه الدويلات قد أدت الكثير من الخدمات للعالم الإسلامي، عندما أعادت هيبة المسلمين إلى ما كانت عليه قبل ذلك في شبه القارة الهندية، وكان على رأس هذه الدويلات: الدولة الغزنوية، والغورية.

الدولة الغزنوية:

يعود الفضل في تأسيس هذه الدولة إلى سبكتكين ت (٣٨٧هـ)، والذي امتد حكمه (٢٠) عامًا، نجح خلالها في التحرك من غزنة لفتح خراسان، وبلاد ما وراء النهر.

ويُعد السلطان محمود الغزنوي (٣٨٨-٤٢١هـ) أهم حكام هذه الدولة، وقد وجه جهوده لفتح منطقة كجرات، وعمل على إقرار أوضاع المسلمين فيها، ونشر الإسلام بين سكانها، وقد واصل ابنه وخليفته مسعود جهود والده، ونجح في فتح مدينة بنارس، ثم أخذ الضعف يدب في أوصال هذه الدولة حتى سقطت عام (٥٥٥هـ)[٢].

---

(١) كان من أشهر الإمارات التي قامت في الهند المنصورة، الملتان، إسماعيلية التي استمرت حتى قضى عليها محمود الغزنوي في القرن الخامس الهجري ، محمود شاكر التاريخ الإسلامي (١٩/١)، د/عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند (ص ٧٧-٧٨) ط الهند المصرية للكتاب ط ثانية (١٩٩٠م).

(٢) أحمد الشاذلي: المسلمون في الهند (ص ٢٤) الهيئة العامة للكتاب (١٩٩٥م)، أحمد الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (٩٤/١ - ٩٥)، محي الدين الألوائي : الدعوة الإسلامية (٣٥٩- ٣٦٠)، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (١٧/١٩)، عبد المنعم القمر: تاريخ الإسلام في الهند (ص ٨٠) وما بعدها.

الدولة الغورية:

قامت هذه الدولة على أنقاض الدولة الغزنوية، وقد وصل حكامها إلى منطقة البنغال، ونجحت في عهد حاكمها شهاب الدين الغوري ت (٦٠٢هـ) في الوصول إلى مدينة دهلي، وجعلها مقرًا لحكمه، وقد عين نائبًا على بلاد ما وراء النهر[١]، وقد تعاقبت على الهند بعد ذلك عدة أسر حاكمة، استطاع ملوكها توسيع رقعة الفتوح الإسلامية، ونشر الإسلام في شبه القارة الهندية، كما حدث في عهد الأسرة التيمورية، وذلك عندما نجح "بابر"[٢] أحد أحفاد تيمورلنك من فتح منطقة هندستان، ومنطقة لاهور (٩٣٢هـ) (١٥٢٥م) [٣].

وقد تطور الأمر بشكل كبير بعد ذلك عندما تولى الحكم جلال الدين أكبر (٩٦٣ – ١٠١٤هـ) (١٥٥٦ – ١٦٠٥م)، حيث نجح في إقرار أوضاع دولته، وتثبيت دعائمها، وتميزت الدولة في عهده بالرخاء الاقتصادي،

---

(١) أحمد الشاذلي: المسلمون في الهند (ص٥٩) ، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (١٧/١٩)، محي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية (٣٥٩- ٣٦٠)، السداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (ص١٢١-١١٢)، تاريخ الإسلام في الهند د/ عبد المنعم النمر (ص ٩٨) وما بعدها.

(٢) بابر من أسرة الفاتح الشهير تيمورلنك دخل دلهي فاتحًا وحقق ذلك ١٥ من رجب (٩٣٢هـ – ١٥٢٦م). ينظر: محي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية (ص٣٤).

(٣) د/ عصام الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي (ص ١٧٤ – ١٧٥) دار الفكر العربي سنة (١٤١٦هـ)، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (٢٥/١٩ – ٢٩)، والساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (ص١٩٥، ٢٠٨)، الألوائي: الدعوة الإسلامية (ص ٣٦٠ – ٣٦١).

والرقي الثقافي، والتقدم الحضاري، إلى جانب تسامحه الواضح مع غير المسلمين من أصحاب الملل الأخرى[١].

ولم تستمر هذه الصورة المشرقة طويلا في بلاد الهند، فمع بدايات النصف الثاني من القرن السابع عشر (١٩٥٩م) بدأ الضعف يدب في أوصال هذه الدولة، ومن المؤسف أن هذا الضعف قد تزامن مع ظهور شركة الهند الشرقية البريطانية في المنطقة، والتي كانت المقدمة للاحتلال البريطاني لها، والذي صحب معه الكثير من المبشرين والتجار المستثمرين إلى المنقطة[٢].

الاحتلال البريطاني وأثره في الهند:

يعود أول ارتباط للإنجليز بالهند إلى شركة الهند الشرقية، وهي كبري الشركات التجارية التي تعاملت مع الهند، وقد اهتمت بداية بنقل البضائع الهندية إلي أوربا، وما إن قامت الثورة الصناعية في أوربا حتى زادت أهمية الشركة والهند معا لبريطانيا، حيث أصبحت الهند بمساحتها، وسكانها، مصدرًا للمواد الخام، وسوقًا لتصريف الإنتاج، ومن هنا زاد اهتمام الحكومة البريطانية بالمنطقة، وشرعت في التخطيط لاحتلالها حتى تم لها ذلك عام (١٧٥٧-١٨٣٢م) [٣].

---

(١) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (٢٥/١٩ – ٢٩)، الألوائي: الدعوة الإسلامية (ص ٣٦٠)، الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (ص٢٠٩ -٢١١) ، د/ عبد المنعم النمر تاريخ الإسلام في الهند (١٩٩ – ٢١٦).

(٢) د. عبد المنعم التمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند (ص ١٥ – ١٦) الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٠م)، تاريخ المسلمين في الهند (ص ٣٤١ – ٣٤٥)، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (٢٧/١٩ – ٢٩)، أبو الحسن الندوي: الدعوة والدعاة مسئولية وتاريخ (ص ٤٣ – ٤٤) إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي ذو القعدة (١٤٠٨هـ) يوليو (١٩٨٨م).

(٣) د. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (٢٧/٩)، د/ محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي (ص ٢٣ – ٢٤) مكتبة وهبه ط ثانية عشر

وقد انقلب النشاط التجاري تدريجيا إلى مخطط استعماري واسع، وأصبحت الهند لأهميتها تتبع التاج البريطاني مباشرة، وأمام تزايد أهمية هذه البلاد لبريطانيا، وضرورة الحاجة إلى إحكام السيطرة عليها، سعي المستعمر لبث الخلاف بين المسلمين وغيرهم، وشرعوا في تقديم العون والمساعدة والتأييد لغير المسلمين، تدعيما لهم في وجه المسلمين، حتى نشبت الحرب بين الطرفين مما أفسح المجال أمام المستعمر للتدخل في شئون البلاد(١).

سياسة الاحتلال البريطاني في الهند:

حتى يسهل علينا معرفة وفهم السياسة التي اتبعها المستعمر في هذه البلاد يجب التركيز على بعض الأسس العامة لهذه السياسة، والتي يمكن استنتاجها من أقوال بعض المستعمرين عندما قال: "ينبغي أن نعلم الهنود ونربيهم بقدر ما ينفعنا في تجارتنا وحكومتنا"، وقال آخر: "علينا أن نعد من أهل الهند جماعة تشبه الهنود في اللون والدم وتماثل الإنجليز في الفكر والعقلية"(٢).

ولاشك أن هذه المبادئ التي سارت عليها بريطانيا في الهند تنطوي علي الكثير من الحقائق، حيث الحرص على تسخير الهنود لما يخدم المصالح والسياسة البريطانية، ففي المجال الاقتصادي نجحوا في السيطرة على مقدرات البلاد واقتصادها، فأحكموا سيطرتهم علي أفضل وأجود الأراضي الزراعية، كما سيطروا على أوقاف المساجد والكتاتيب، فأصبحت تفتقر لمن ينفق عليها، فتعطلت وساد الجهل بين المسلمين(٣).

(١٤١١هـ - ١٩٩١م) محي الدين الألوائي الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية (٣٦٣ - ٣٦٣).

(١) د/ عبد المنعم النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند (ص ١٤٩ - ١٦٩).

(٢) د/ عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند (ص ٣٩٨).

(٣) أبو الحسن الندوي: الدعوة والدعاة مسئولية وتاريخ (ص٤٣-٤٤)، د/ محمود شاكر التاريخ الإسلامي (٢٨/١٩ - ٢٩)، الشيخ محمد الرابع الحسني : قضايا

في حين نجدهم على الجانب الآخر قد أفرطوا في إرسال البعثات التبشيرية، وعكفوا على تعليم الهنود وتنصيرهم، وأسندوا إليهم المراكز الإدارية الهامة، حتى أصبحوا وسيلة المستعمر في الحكم والإدارة، وأداته لتنفيذ إرادته داخل البلاد[١].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أصبحت مفاتيح الرزق -دون مبالغة- في البلاد معلقة بأبواب المعاهد الدراسية والمدارس التبشيرية، وخاصة أن الإنجليز عمدوا إلى تهيئة أسباب تجعل الناس في ضيق من الرزق، فأقبل

المسلمين في الهند بحث نشرته رابطة الأدب العالمية ط دار الرسالة بيروت (١٤٢٢هـ).

(١) أقر هذه السياسة أحد الذين عاصروا الاحتلال البريطاني للهند وهو السيد أحمد بن المتقي وقد ولد عام (١٨١٧م) واعتني بالهند عناية خاصة، وتولي الوظائف الهامة في الإدارة الإنجليزية وألف في التاريخ وكان من أنصار حكومة الاحتلال، وممن سعوا في إخماد ثورة (١٨٥٧م) لتوطيد الحكم الإنجليزي وأنشأ في عام (١٨٧٥م) كلية إسلامية إنجليزية تسمي الأن جامعة علىكرة، واستمر على علاقة بالمستعمر حتى وفاته عام ١٨٩٨م وانظر الأعلام بمن في تاريخ الهند من أعلام للمؤرخ عبد الحي الحسني (١١٧٥/٨)، وقد ذكر أن أهل الهند أدركوا حقيقة هذا المخطط قائلا "لقد تيقن أهل الهند أن الإنجليز سيحولونهم إلي النصرانية متخذين التجويع والإذلال وسيلتهم إلي ذلك كما فعلوا مع اليتامى الذين فقدوا آبائهم في مجاعة (١٨٣٧م) وكان المبشرون يتقاضون مرتباتهم من الشركة وكان كبار الموظفين من الإنجليز يستغلون مراكزهم في تحسين المسيحية بين صغار الموظفين الواقعين تحت سيطرتهم ويأتون بالشبهات والشكوك ليزلزلوا عقيدتهم وبلغت هذه الدعاية أقصي حد حتى لم يعد الموظفون الهنود يأمنون علي دينهم" انظر تاريخ الإسلام في الهند د/عبد المنعم النمر (ص ٤٠٠) وما بعدها، الصراع بين الفكرة الإسلامية و الفكرة العربية لأبي الحسن الندوي (ص ٧١) دار القلم الكويت (١٩٧٧م).

النشء منهم على تعلم المفاهيم والنظريات التي لا شك أنها تناقض الثقافة الإسلامية شكلًا ومضمونًا[١].

ولا شك أن سياسة الاستعمار والتي تعتمد على التمييز الواضح بين عنصري المجتمع، كان من شأنها أن تزيد الهوة، وحدّة الخلاف بين المسلمين من جهة، والمستعمر وأعوانه من جهة أخري، وخاصة أن هذا التمييز قد امتد ليشمل كافة النواحي الإدارية، والسياسية، والاقتصادية، فسيطروا على المناصب الهامة (سياسة الجائزة) كما ارتقى أعوانهم من الهنود إلى هذه المناصب، في حين حرم المسلمون تماما، بحيث أصبح من الصعب بل من المستحيل أن تجد ضابطًا، أو قاضيًا مسلمًا، كما لجأوا إلى القضاء علي قوة المسلمين، وتشتيت جمعهم، وإسكات أصواتهم، الأمر الذي زاد من كراهية المسلمين للطرفين معا، وزاد من حدة مقاومتهم للمستعمر، بل والمطالبة بالانفصال عن الهند كما حدث (١٩٣٠م) بقيادة محمد علي جناح[٢].

ثم محمد إقبال[٣] وغيره حتى تم لهم ذلك وانفصلت الباكستان عن الهند[١].

---

(١) عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند (ص٣٩٨).

(٢) محمد علي جناح: ولد عام (١٨٧٩م) في مدينة كراتشي من أسرة هندوسية واعتنق الإسلام ودرس القانون في إنجلترا وانتسب إلي حزب الرابطة الإسلامية بعدما تأسس بسبع سنوات ورأس البعثة الهندية التي اتجهت إلى لندن لشرح القضية الهندية (١٣٣٣هـ،١٩٣٤م)، كما رأس اللجنة التي شكلتها الرابطة بالاشتراك مع حزب المؤتمر للمطالبة بالحكم الذاتي للهند عام (١٩١٦م) وتولى رئاسة حزب الرابطة (١٩٣٩م) حتى تولى رئاسة دولة باكستان وتوفي عام (١٩٤٨م)، ينظر: د/ محمود شاكر التاريخ الإسلامي (١٩/٤٥).

(٣) ولد محمد إقبال الشاعر والفيلسوف عام (١٢٩٣هـ) واندفع بحماس للإسلام وأخذ درجة الماجستير في كلية الحكومة في لاهور والدكتوراه من كمبردج في الفلسفة والاقتصاد، انتخب رئيسا للرابطة الإسلامية (١٩٣٠م) مثّل مؤتمر المسلمين في مؤتمر المائدة المستديرة (١٩٣١م)، توفي في (٣٠) أبريل (١٩٣٨م) وله محاضرات بالإنجليزية، وله سبعة دووابن شعرية باللغة الفارسية. ينظر أبو الحسن

تقسيم شبه القارة الهندية:

لا شك أن سياسة المستعمر قد أدت إلى تزايد حدة الكراهية بين المسلمين والهندوس، كما أدت إلى ظهور فكرة الانفصال عن الهند، ولكن رغم ذلك فقد ظهرت بعض الآراء التي نادت بالتمسك بالوحدة الوطنية، والوقوف صفا واحدا في وجه المستعمر، وتأسيس دولة واحدة تضم المسلمين والهندوس معا، ومن أشهر مؤيدي هذا الرأي والاتجاه ذاكر حسين[٢]، وأبو الكلام

الندوي: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية (ص٨٣، ٨٤)، عبدالوهاب عزام: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مؤسسة هنداوي ط (٢٠١٤م).

(١) وللوقوف على حقيقة سياسة المستعمر في الهند يقول أحد الباحثين الإنجليز "حينما قبضنا علي الهند كان المسلمون فيها أرقي السكان عقلا وسياسة وعملا وعلما وكانوا يمتازون بقوة الجسم والشجاعة ولكن الحكومة الإنجليزية أغلقت جميع أبواب العمل في وجوههم بعد أن كانوا يتولون المناصب الصغيرة والكبيرة، وكان الهندوس يتقبلون كل ما يحصلون عليه من الوظائف بالشكر والإنجليز في ذلك الوقت يعملون ملاحظين للأعمال ولكن تغير الحال بعدما قبضنا علي السلطة بحيث لا تجد من المسلمين ضابطا أو قاضيا في المحاكم العالية. وكان في بنكال من القضاة في المحاكم العالية واحدا وعشرين قاضيا منهم هندوسيان والباقي من الإنجليز ولايوجد فيهم مسلم واحد. ينظر: هنتز: المسلمون في الهند (ص ٢٣٧) نقلًا عن " المودودي ومنهجه في الدعوة" رسالة ماجستير أ.د علي شاهين (ص ٢٥)، تاريخ الإسلام في الهند (ص ٤٠٩)، د/محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (١٩/٤٣ - ٤٦).

(٢) د/ ذاكر حسين ولد في حيدر آباد الدكن عام (١٨٩٧م) وتخرج من الكلية الإسلامية عليكرة وتابع دراسته في برلين حتى حصل علي الدكتوراه عام (١٩٢٣م) وعين حاكما لولاية بيهار (١٩٥٧م) ورئيسًا لجمهورية الهند في (٣٠) من المحرم (١٣٨٧هـ -١٩٩٧م) وتوفي عام (١٣٨٩هـ). ينظر: محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (١٩/٤٩- ٥٠).

آزاد[١]، وإذا كان أصحاب هذا الاتجاه يغفلون أو يتغافلون دور الإنجليز في إذكاء نار الخلاف بين المسلمين والهندوس، فقد كان هناك فريق آخر يري ضرورة الانفصال عن الهند، وتأسيس دولة واحدة تضم المقاطعات التي يشكل المسلمون أغلبية سكانها[٢]، وقد كثر الحديث والجدل حول مستقبل المسلمين والهندوس، وإذا كان الفريق الرافض لفكرة التقسيم قد تعاظم أمره بانضمام غاندي وتلميذه نهرو[٣]، فقد ظهرت آراء عديدة كلها تدور حول

---

(١) أبو الكلام آزاد: ولد عام (١٣٠٦هـ) في أسرة من الأسر ذات التاريخ الطويل في مقاومة الاستعمار وقد اشترك والده في ثورة عام (١٧٥٨م) وبعد فشلها هرب إلي الحجاز وتزوج من سيدة عربية وانتقل إلى القاهرة ، درس أبو الكلام في الأزهر (١٩١٢م) واشترك في حزب المؤتمر الهندي وأنشأ مجلة الهلال وتولى وزارة المعارف وانتخب رئيسا لحزب المؤتمر كما انتخب رئيسا للاجتماع التاسع لهيئة اليونسكو. ينظر محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (٤٨/١٩)، عبد المنعم النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند (ص ٢١٣)، أبو الكلام آزاد" الزعيم السياسي بقلم د. عبد المنعم النمر ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بدون.

(٢) د/ عبد المنعم النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند (ص ٢٣١)، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (٤٩/١٩- ٥١) الندوي: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية (ص ٨٠ -٨٢) ، محي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص ٣٦٤ ، الشيخ أبو الحسن الندوي : بحوث ودراسات رابطة الأدب الإسلامي العالمية (ص٥٧-١٨) دار التبشير ط أولى (٢٠٠٢م).

(٣) هو رئيس الهند وزعيمها المهاتما غاندي ولد (١٨٩٩م) ببلدة دورمندار ودرس القانون بإنجلترا ورجع منها (١٨٩١م) واشتغل بالمحاماة وعمل ضد التفرقة العنصرية وسافر إلى إنجلترا أثناء الحرب العالمية الأولى وعاد عام (١٩١٥م) ونظم حركة العصيان المدني وسجن (١٩٢٢م) لمدة ست سنوات وقاد مظاهرة عام (١٩٣٠م) وحكم عليه بالسجن مرة ثانية لمدة عام واحد، وتمكن أحد الهندوس من اغتياله في دلهي عام (١٩٤٨م). للمزيد ينظر: صالح الأشتر: غاندي، سلسلة أعلام مبرزون، بيروت بدون.

الانفصال التام عن الهند، وقد تبلورت هذه الفكرة بحلول (١٩٣٩م) الذي كثرت فيه الآراء، وتعددت النظريات حول فكرة تقسيم الهند، وكيفية تنفيذها[١].

وكان غاندي من أكبر معارضي فكرة التقسيم ونادى بضرورة استمرار المسلمين تحت سيطرة الهندوس ولكنه أظهر شيئا من اللين أمام حماس المسلمين وإصرارهم على المطالبة بالانفصال حتى تمت محادثات عديدة ومناقشات بين غاندي ومحمد علي جناح تم الاتفاق بعدها على ما يأتي:

يقوم بتخطيط المناطق عند الانفصال لجنة يوافق عليها حزب المؤتمر والرابطة الإسلامية ويجب التأكد من رغبة المواطنين عن طريق التصويت للبالغين من أهل هذه المناطق وإذا كانت نتيجة هذا التصويت في صالح الانفصال يتم الانفصال بشكل سريع عقب حصول الهند على استقلالها من الاستعمار البريطاني وعلى هذا التقسيم تصبح الهند دولتين كل دولة ذات سيادة ورغم هذه المرونة ظل غاندي من أكبر معارضي فكرة التقسيم. ينظر أ. قدري قلعجي: غاندي ابو الهند (ص١٠٥) ط دار العلم للملايين بيروت بدون، أ. العقاد: القائد الأعظم محمد علي جناح (ص١٣٢) ط بيروت دار العلم للملايين بدون.

وأما نهرو الزعيم السياسي الذي انتخب رئيسا لحزب المؤتمر الهندي عام (١٩٢٠م) فقد اشترك في تأسيس حزب الاستقلال عام (١٩٢٢م) ودرس بإنجلترا حتى حصل على الحقوق وعاد إلى الهند واشتغل بالمحاماة وقد سجن مرات عديدة بلغت تسع مرات، وتولي رئاسة حزب المؤتمر عام (١٩٤٧م) وتسلم وزارة الخارجية من الحكومة المؤقتة بعد الحرب العالمية الثانية، وتولى رئاسة الوزارة بعد الاستقلال واستمر في هذا المنصب، حتى توفي عام ١٩٦ نظر محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (١٩/٥٢)، وللمزيد ينظر نهرو بقلمه ط دار العلم الملايين بيروت بدون.

(١) د/ عبد المنعم النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند (ص١٨٩)، د. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (١٩٥٥- ٥٦)، أ/ قدري قلعجي : غاندي أبو الهند (ص١٠٥)،

١- مؤتمر السند الإقليمي (١٩٣٨م):

يعد هذا المؤتمر الذي عقد برئاسة محمد علي جناح عام (١٩٣٨م) أهم المؤتمرات التي عقدت لمعالجة وضع المسلمين وعلاقتهم بالهندوس، وقد نادي بضرورة تقرير المصير لكل من الهندوس والمسلمين على حدة، وذلك من أجل سلام دائم في شبه القارة الهندية الشاسعة، وكذلك من أجل الرقي الثقافي، والاجتماعي، والتطور الاقتصادي، وذلك عن طريق وجود اتحادين يضم أحدهما المناطق التي يشكل المسلمون غالبيتها والآخر يضم المناطق غير المسلمة(١).

٢- مؤتمر دهلي (١٩٤٦م):

عقد هذا المؤتمر في (٧) من جمادى الأولي (١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م) في مدينة دهلي، وفيه وضَّح المسلمون دوافع دعوتهم للانفصال، وسبب تمسكهم، رغم المساعي التي بذلت من زعماء الهندوس لعدول المسلمين عن ذلك، ولكنهم أكدوا أن الاختلاف الواضح بين الطرفين في الجوانب الدينية، والثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، كل ذلك يؤكد استحالة الوحدة بين الجانبين(٢).

باكستان في ماضيها وحاضرها (ص ٤٦) وما بعدها، الندوي : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية (ص٩١ -٩٢).

(١) عبد الكريم العفيفي: موسوعة ألف حدث إسلامي (ص٢٠)، ط ثانية بيروت (١٤١٨هـ)، الشيخ الندوي بحوث ودراسات، رابطة الأدب الإسلامي العالمية (٥٨، ٥٩)، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (١٩/٦٤- ٧٦).

(٢) د: محمود شاكر التاريخ الإسلامي (١٩/٧٦)، عبد الكريم العفيفي موسوعة ألف حدث إسلامي (ص٢٠)، د. عبد المنعم النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند (ص ٢٠٤- ٢٠٦)، كان هذا القرار الذي أصدره المؤتمر بهذا الشكل " إنني أعلن بصراحه في هذا المقام عن اعتقادي الجازم بأن أمن وسلامة ومستقبل المسلمين في شبه القارة الهندية منوط بقيام باكستان وهو الحل الوحيد العامل الذي يجلب السلام والحرية والرخاء لجميع الشعوب والجماعات الموجودة في شبه القارة

واعتمادًا على اتساع الهوة في الفوارق من الاختلافات تم الاتفاق على عدة نقاط هامة:

أولًا: أن يتم تشكيل دولة ذات سيادة في المناطق التي تضم مناطق البنغال في الشمال الشرقي، والبنجاب، ومنطقة الحدود الشمالية الغربية، وولايتي السند وبلوجستان شمال غرب الهند، وهي المناطق التي تضم الأغلبية المسلمة، ويتم اتخاذ التدابير اللازمة لإقامة هذه الدولة، وإقرار أوضاعها دون تأخير.

ثانيًا: أن يكون لهذه الدولة دستور خاص يتفق مع ديانتها.

ثالثًا: أن هذا القرار يعني صراحة أن أية محاولة لفرض دستور لهند موحد تضم كلًا من المسلمين والهندوس، أو اللجوء إلى أية تسوية لأمر يجعل المسلمين أمام أمر واحد وهو المقاومة بشتى الوسائل لضمان انفصالهم عن الهنود، وتأكيدا لهذه الخطوة الجادة الهامة التي تم اتخاذها في مؤتمر دهلي قدموا إلى المجلس النيابي البريطاني في يوم (٢٥) من شعبان (١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م) قرارًا باستقلال الهند، وقد أقره مجلس العموم البريطاني في اليوم التالي، كما أقره مجلس اللوردات وقد جاء في هذا القرار: تنشأ اعتبارا من (٢٧) رمضان (١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م) دولتان مستقلتان في الهند، تعرف أحدهما بالهند وثانيهما باكستان، وإن الحكومة البريطانية قررت تسليم السلطة إلي الهنود.

الهندية العظيمة، وأرى أن من واجبي أن أؤكد بصراحة بأني سأنقذ بطيبة خاطر ودون تلكؤ كل التوجيهات والتعليمات التي تصدر عن المؤتمر الإسلامي لعموم الهند التحقيق أية حركة يتبناها لبلوغ الهدف الوطني العزيز الباكستان وبما إني أؤمن بعدالة قضيتي وصدقها فإني أتعهد بان أواجه أي خطر وأن أقدم أي تضحية يطلب مني تقديمها. ينظر للمزيد د. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (١٩/٧٦-٧٧)، عبد الكريم العفيفي: موسوعة ألف حدث إسلامي (ص٢٠)، الشيخ أبو الحسن الندوي مجموعة دراسات وبحوث (٥٩- ٦٠). دار البشير (٢٠٠٢م).

أقول: ومن الملفت للنظر تلك السهولة التي وافق عليها وبها البريطانيون تقسيم الهند إلى دولتين، فلم يكن ذلك بالطبع حرصًا على مصلحة المسلمين، أو تعاطفًا معهم، بقدر رغبة المستعمر في تفتيت هذا المارد القابع في جنوب آسيا، والذي من شأنه أن يهدد المصالح البريطانية في المنطقة، ومن ثم فقد رحب بل هلل البريطانيون بهذه الفكرة التي سعوا لتحقيقها منذ أن وصلوا إلى أرض الهند، وشرعوا في بث الخلاف والتفرقة بين عنصري الأمة، حتى آتت سياسة المستعمر ثمارها، ثم توجت هذه السياسة بتقسيم الهند.

وبهذا الشكل نجح في جمع الهندوس معا في دولة واحدة، يمكنهم فيها ممارسة طقوسهم، ونظمهم الخاصة، وكل ما يتعلق بها، دون إثارة حفيظة المسلمين ومضايقتهم، والشيء نفسه بالنسبة للمسلمين، الذين أصبح بمقدورهم ممارسة شعائرهم الدينية دون خوف، أو تردد، كما أصبح بمقدور كل من الطرفين اختيار الدستور والمبادئ والنظم التي تناسب بل وتحافظ على عقائدهم.

ومما هو جدير بالذكر، أن أمر التقسيم، وتنفيذه، أو خروجه إلى حيز الوجود لم يكن أمرا ميسورًا، بل عانى المسلمون أشد ألوان العنف والاضطهاد من قبل الهندوس والسيخ، مثل القتل، والتشريد، وحرق قطارات بأكملها كانت تقل المسلمين إلي دولتهم الجديدة، كما دأب الهندوس والسيخ على تعذيب المسلمين الذين يمثلون أقلية واضحة داخل مدنهم أو قراهم، كما ظهر ذلك بجلاء في البنجاب الشرقية قبل خروج المسلمين منها[١].

---

(١) ينظر د. عبد المنعم النمر كفاح المسلمين في تحرير الهند (ص ٢٥٥، ٢٧٧) ، د. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (١٩/٨٣- ٨٦)، الشيخ الندوي : بحوث ودراسات (ص ٥٧) وما بعدها، عبد الكريم العفيفي: موسوعة ألف حدث إسلامي (ص٤٢٠) ، الندوي: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية (ص ٩٢ – ٩٧)، محمد الثاني الحسني: حياة مولانا يوسف (ص٢٧٨ ، ٣٠٥) مكتبة دار العلوم ندوة العلماء لكنو الهند بدون.

المبحث الرابع: المسلمون في شبه القارة الهندية

سبق أن أشرت إلى دخول الإسلام إلى بلاد الهند والدول التي قامت هناك منذ الفتح الإسلامي الذي استتب في مناطق السند الواقعة على شاطئ الهند الشمالي على يد محمد بن القاسم الثقفي، وشهدت الهند في عهد الإسلام حضارة من أزهي الحضارات التي عرفها التاريخ، وقد بلغ مجد المسلمين وحكامهم في شبه القارة الهندية الحد الذي ظل فيه مندوب ملك إنجلترا "جيمس الأول" أكثر من سنتين في الهند يحاول مقابلة الإمبراطور المسلم فلم يظفر بما يريد، فتضرع أن يأخذ كتابا منه يحمله إلي ملك إنجلترا فرد عليه الوزير الأول قائلا: "إنه مما لا يناسب قدر ملك مغولي مسلم أن يكتب كتابا إلي سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون"(١)، وبقي الأمر على ذلك إلي أن استولي الإنجليز علي الهند بعد أن دخلوها كتجار حصلوا على امتيازات تجارية من حكام البلاد المسلمين علي أساس كرم الضيافة، ورحابة الصدر، ولكنهم أضمروا الشر نحو البلد الذي رحب بهم، والشعب الذي أكرمهم، فمالوا للسيطرة على هذه البلاد، وبدأوا يبثون سياستهم التقليدية "فرّق تسُد" بين حكام البلد بعضهم بعضًا، وبين مختلف الطوائف، فاستطاعوا بمكرهم وحيلهم، والوهن الذي تسرب إلى قلوب الشعب الهندي، الاستيلاء على البلاد كلها؛ ففقد المسلمون حكمهم فيها، وتعرضوا لاضطهاد الإنجليز المستعمرين سياسيًا، وثقافيًا، واقتصاديًا.

وتعرضت الدعوة الإسلامية أيضًا لمحاولة القضاء عليها، واستمرت هذه الحالة إلى منتصف القرن العشرين، حيث استعادت حريتها كاملة غير منقوصة عام (١٩٤٧م)، وقامت فيها دولتان مستقلتان "الهند، وباكستان"، والذي يفهم من هذا البيان أن تاريخ الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية قد مر عليه حتى الآن أربعة عشر قرنًا من الزمن، بينما مر ثلاثة عشر قرنًا

---

(١) كفاح المسلمين في تحرير الهند (ص ١٧) وأشار الكاتب إليها في مقدمة كتابه: تاريخ الإسلام في الهند.

على قيام أول دولة عربية في السند، وظلت الهند كلها تحت حكم المسلمين أكثر من ثمانية قرون ونصف القرن -أي من قيام الدولة الغزنوية- (٣٩٢هـ - ١٠٠١م) إلى (١٢٧٤هـ - ١٨٥٧م) ثم استمر حكم الإنجليز التام على شبه القارة الهندية مدة قرن من الزمان.

وطوال هذه الفترة الممتدة من تاريخ الإسلام والمسلمين في الهند تعرضت الدعوة الإسلامية لاضطهادات جمة من الحكام المستبدين الذين وضعوا العراقيل أمام الدعاة والمصلحين.

وكانت شبه القارة الهندية وقت الاستقلال من حكم الإنجليز سنة (١٩٤٧م) أولي دول العالم في عدد المسلمين، حيث كانت تضم أكثر من مائة وعشرين مليون مسلم، ثم قام تقسيم شبه القارة إلى دولتين - الهند وباكستان - فصارت الهند ذات أغلبية هندوسية وأقلية مسلمة، وباكستان على العكس من ذلك. وقد بلغ المسلمون في باكستان وقتها ثمانين مليون مسلم، وفي الهند نحو أربعين مليون مسلم. واليوم تعد الهند ثانية دول العالم في عدد المسلمين، حيث تضم أكبر جالية إسلامية بعد إندونيسيا، وهم يشكلون أكبر طائفة بعد الطائفة الهندوكية.

ومن ثم لا تزال الهند جزءًا حيًّا هاما من جسم العالم الإسلامي الكبير الواسع الذي يربط بين أجزائه رباط وثيق من الروابط الروحية والأخوة الإسلامية، ويمكن أن نلخص الملامح الجوهرية لمدي انتشار الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية في النواحي الآتية:

أولًا: سرعة وصول صوت الإسلام إلي جميع المناطق الساحلية من أرض الهند عقب انبثاقه في جزيرة العرب، والترحيب الحار الذي وجده الدعاة من حكام الهند وشعبها، مما ساعد على انتشار المساجد ومراكز الثقافة الإسلامية.

ثانيًا: انتشار مراكز الثقافة الإسلامية والعربية في أرجائها وسيأتي الكلام عنها بالتفصيل إن شاء الله سبحانه وتعالي.

ولا تزال هذه المراكز تتدفق حماسا ونشاطا للمحافظة على مكانة مسلمي الهند في نشر الدعوة وتطويرها، والتي ورثوها منذ أن استنارت الهند بنورها عقب انبثاق فجرها، وتحمس المسلمون لنشرها بعيدين عن المآرب السياسية، أو الفتوحات العسكرية، أو الجاه والمال.

ثالثًا: انتشار اللغة العربية وأثرها في اللغات الهندية وآدابها، وكذلك التراث العلمي والإسلامي الخالد لعلماء الهند المسلمين، ويبدو أثر هذا الانتشار في حركة التأليف والنشر باللغة العربية التي قام بها هؤلاء العلماء في فترات التاريخ المتباينة، وفي شتي فروع العلوم الإسلامية والعربية، كان شعار المسلمين في الهند منذ العهد الأول الاعتناء باللغة العربية، والتمسك بها لكونها لغة القرآن الكريم، وعلوم الدين الحنيف.

وفضلًا على أنها كانت من العوامل الرئيسية التي ساعدت على توثيق عرى التعارف والتفاهم بين الأمتين العظيمتين الهندية والعربية، وجدير بالذكر أن كثيرًا من مؤلفات العلماء الهنود قد تخطت شهرتها حدود الهند، واحتفي بها علماء العرب والعجم، واعترفوا لها بالدقة، والإتقان، وغزارة المادة، والنفع العام.

ونرى علماء الهند في بعض فترات التاريخ في مقدمة المؤلفين في العلوم الدينية وانتهت إليهم الرئاسة في التدريس، والتأليف في فنون الحديث وشروحه، وكذلك في السيرة النبوية، وحكمة التشريع الإسلامي[١].

رابعًا: انتشار معالم الحضارة الإسلامية في جميع أرجاء الهند المتمثلة في الآلاف المؤلفة من المساجد، والقلاع الفخمة التي بناها المسلمون، والتي تنطق بروعة الفنون الإسلامية وبراعتها، مع وجود آلاف من مقابر المسلمين، وأضرحه أولياء الله الصالحين المنتشرة في جميع أراضيها. وبقي أن نعلم أن المسلمين في الهند أغلبهم من أهل السنة والجماعة على منهج

---

(١) وسنرى ذلك إن شاء الله تعالى عند الكلام عن مساهمة علماء الهند في نهضة العلوم الإسلامية والعربية.

الفاتحين لتلك الديار. ثم دخلت أفكار مختلفة لطوائف كثيرة انتشرت في سائر الديار الهندية، فضلا عن تأثر بعض المنتسبين للإسلام بصور وأعمال طوائف من الهنادكة، وسأوجز فيما يلي بيانًا عن ذلك:

أهم طوائف المسلمين في شبه القارة الهندية: أهل السنة والجماعة – الشيعة الإمامية الاثنا عشرية – البريلوية – القاديانية – النياجرة – البهائية – الجكرالوية – الأغاخانية.

أولًا: أهل السنة والجماعة:

هم الغالبية العظمى لمسلمي شبه القارة الهندية، ولهم المكانة الكبيرة علميا، وثقافيا، وسياسيا، مذهبهم في الاعتقاد على منهج الإمام أبي منصور الماتريدي، والإمام أبي الحسن الأشعري، إمامي أهل السنة والجماعة، ومذهبهم الفقهي هو مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وهم يحرصون حرصا شديدا على الالتزام بمنهجهم العقدي، والفقهي، من غير عصبية لمذهبهم مع احترام شديد لجميع المذاهب الفقهية المتبوعة، وهي الثلاثة المعروفة: المالكية، والشافعية، والحنابلة، ويعرف ذلك من خلال مؤلفاتهم الفقهية والحديثية التي فاقت الحصر في زماننا[١].

ثانيًا: الشيعة[٢]:

غالب معتنقي المذهب الشيعي في الهند هم من الفرقة الإمامية الإثنا عشرية التي انتقلت إلى الديار الهندية عن طريق التجارة من بلاد إيران، وأقاموا

---

(١) الشيخ محمد الطيب: علماء ديوبند اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي (ص ٢٣٤، ٢٧٠، ٢٩٠) ط الجامعة الإسلامية ديونبد (١٤٢٣هـ)، محمد الأسعدي : دار العلوم ديوبند (ص٤٤٥ ، ٧١٧) نشر أكاديمية شيخ الهند (١٤٢٠هـ).

(٢) د. حسن الشافعي: المدخل إلى دراسة علم الكلام (ص ١٠٢) مكتبة وهبة (١٩٩١م)، محمد الحسين آل كاشف: أصل الشيعة وأصولها (ص ٧٣) صيدا (١٩٣٩م)، نصير الدين الطوسي: رسالة الإمامة (ص ٢٢) مطبوعات جامعة طهران.

واستقروا في الهند، ولما يألُ أهل السنة والجماعة جهدا في بيان فساد عقائدهم، ومكائدهم، ومن ذلك بطلان عقائد الشيعة للعلامة عبد الستار التونسوي، والثورة الإيرانية في ميزان الإسلام للعلامة منظور النعماني، وهداية الشيعة للشيخ رشيد جنجوهي، وصورتان متضادتان للعلامة أبي الحسن الندوي.

ثالثًا: النياجرة[١]:

هذه الفرقة نسبت إلي الإسلام مع أنهم يحرفون القرآن، وينكرون المعجزات، ويقدمون الطبيعة على أحكام الإسلام، بمعني أنهم يعرضون هذه الأحكام على طباعهم وعقولهم، فما وافق عقولهم قبلوه، وما خالفته عقولهم هدموه، مستفيدين في ذلك من مذهب المعتزلة في الاعتقاد، وسموا "نياجرة" جمع نيجري وهو مأخوذ من كلمة NATURE الإنجليزية بمعني الطبيعة، ومن الكتب التي ألفت في الرد عليهم:

البرهان على تجهيل من قال بغير علم في القرآن للعلامة محمد علي البجرايوني، النموذج من معتقدات أهل العوج للعلامة محمد أشرف علي التهانوي.

رابعًا: البهائية[٢]:

وهم طائفة ينسبون إلى باب الله وبهاء الله، ويقولون بإبطال بقاء الشريعة، والعمل بالقرآن، وادعوا نبوة مستقلة، وقام بالرد عليهم العلامة التهانوي في كتابة الحجة النهائية، والعلامة إشفاق الرحمن الكاندهلوي في رفع الحجاب عن كيد الباب.

---

(١) محمد عبد الله الأسعدي: دار العلوم ديوبند (٢٠٤- ٢٣٠).

(٢) ينظر: البابية و البهائية ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (١٩٩٨م) د. محمد إبراهيم الجيوشي د. عائشة بنت الشاطئ: وثائق البهائية ط الأهرام القاهرة.

خامسا: الجكرالوية:

فرقة تنسب إلي عبد الله الجكرالوي وكان منكرا للحديث الشريف وحجيته، ومنكرا لصورة الصلاة المعهودة، وبرز العلماء في الرد عليهم، فألف المفتي محمد شفيع العثماني رسالته أصول التكفير، وتناولها الباحث الهندي خادم حسين في رسالة الماجستير من جامعة أم القري بمكة المكرمة، وسماها "فتنة إنكار الحديث وحجيته في شبه القارة الهندية"، ورد عليهم العلامة حبيب الرحمن الأعظمي[1] في كتابه "نصرة الحديث".

سادسا: الأغاخانية:

فرقة تنسب إلى أغاخان الإسماعيلي، ويعبدون صورته، ويعتقدون فيه الحلول، وينكرون فرضية الصلاة، ودعوتهم منتشرة في بلاد الهند، وبعض بلاد أوروبا، وألف العلامة التهانوي رسالة في الرد عليهم أسماها "الحكم الحقاني في الحزب الأغاخاني".

سابعا: البريلوية:

الصوفية بمعناها المعروف الذي هو التمسك بالكتاب والسنة قولا وعملا، والتخلق بأخلاق الله تعالي، والالتزام بالصفات الشرعية المحمودة، وبذل

---

(١) هو الشيخ المحدث العالم البحّاثة، المحقّق المدقّق، أحد أبرز علماء الحديث في شبه القارة الهندية، أبو المآثر حبيب الرحمن بن محمد صابر بن عناية الله الأعظمي، ولد عام (١٣١٩هـ، ١٨٩٩م) في أسرة علمية متدينة، وكان والده الشيخ محمد صابر من علماء البلدة، وكبار المربين فيها، تلقى دراسته الابتدائية من والده، ثم التحق بدار العلوم ديوبند، وقرأ الحديث النبوي وغيره من العلوم النقلية والعقلية على أكابر أساتذتها وأجلة شيوخها، من شيوخه الشيخ العلامة محمد أنور شاه الكشميري، والشيخ شبير أحمد العثماني، توفي سنة (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م). ينظر: محمد خير رمضان: تتمة الأعلام، (١/١٢٥)، دار ابن حزم بيروت، ط ثانية (١٤٢٢هـ)، سيد عبد الماجد الغوري: أعلام المحدثين في القرن الرابع عشر الهجري (ص١٣٤) وما بعدها، دار ابن كثير بيروت، ط أولى (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م).

الجهد على النفس في العبادات، وإصلاح الأخلاق، ودوام الافتقار إلى الله تعالي على منهاج الأئمة المجتهدين، بهذا المعني يجد التصوف له أتباعا وأنصارا كثيرين من أهل السنة والجماعة في بلاد الهند[١].

ولكن التصوف بالمعني الآخر الذي هو إهمال الكتاب والسنة والاستكثار من البدع والخرافات، وجعلها أصولا للدين، فإن ذلك ليس من الإسلام في شيء، وفي الهند جماعة كبيرة من هؤلاء يطلق عليهم البريلوية، وهي فرقة نشأت إبان الاستعمار البريطاني، وهم يغالون في الأولياء، ويعتقدون أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدرة يتحكم بها في الكون، وأنه النبي حاضر، وناظر لأعمال الخلق في كل زمان ومكان، وينكرون بشريته، ويحاربون دعاة الإيمان، ويكفرون من يخالفهم من المسلمين، ولقد اهتم علماء السنة بالرد عليهم، كالعلامة إحسان إلهي ظهير في كتابه: "البريلوية عقائد وتاريخ".

ثامنًا: القاديانية:

تنسب إلى مرزا غلام أحمد (١٨٣٩هـ - ١٩٠٨م) وهو رجل من أسرة معروفة بالخيانة والعمالة لصالح الإنجليز، وهو معروف عند أتباعه باختلال مزاجه وإدمانه للمخدرات، وكان من معتقداته أن النبوة لم تختم بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، له بل هي مستمرة والله يرسل الرسل حسب الضرورة. واعتقد أتباعه أن جبريل ينزل علي غلام أحمد، ويوحي إليه إلهاماته كالقرآن، ويعتقدون أن قاديان كالمدينة المنورة، ومكة المكرمة، وكل مسلم كافر حتى يدخل في القاديانية، ويبيحون الأفيون، والخمر، وسائر المسكرات، بمساعدة الأعداء في كل مكان، أي يحصلون على المراكز الهامة في كل بلد يستقرون فيه، وللقاديانية علاقة وطيدة مع دولة إسرائيل، وقد فتحت لهم

---

(١) ينظر الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي: الشريعة والطريقة دار الرشيد القاهرة (١٩٨٠م)، الشيخ أبو الحسن الندوي: ربانية لا رهبانية.

مراكز ومدارس، ومكنتهم من إصدار مجلة تنطق باسمهم، وطبعت لهم الكتب والنشرات ووزعتها في العالم[١].

* * *

(١) أ. حسن عيسي عبد الظاهر: القاديانية (ص ١١٣ – ١٥١) ط مجمع البحوث الإسلامية (١٩٧٣م)، موقف الأمة الإسلامية من القاديانية (ص ١٣ – ٣٤) ط مجمع البحوث الإسلامية (١٩٧٦م)، الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة (ص ٣٨٩– ٣٩١)، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية للندوي (ص ٧٠– ٧١)، عمل القاديانية والبهائية: للشيخ محمد الخضر حسين دار الكتاب العربي مصر، د. عبد اللطيف العبد: فليعودوا إلى صراط مستقيم دار الثقافة العربية (١٩٩٧م).

المبحث الخامس

التعليم في شبه القارة الهندية

إن تاريخ شبه القارة الهندية غني بنوابغ العلماء، والدعاة إلى الله سبحانه وتعالى، الذين بذلوا النفس والنفيس في نشر الدعوة الإسلامية، وإحياء السنة النبوية، وإن جولة في كتاب "الثقافة الإسلامية في الهند" للعلامة عبد الحي الحسني، تدلنا على مركز الهند العلمي، والديني، وقسط علمائها، ودعاتها في حركة التأليف، والتدريس، وتكفينا أيضا نظرة خاطفة في كتاب "الإعلام بمن ورد في تاريخ الهند من أعلام"[(١)]، والذي يحتوي على خمسة آلاف ترجمة لأعيان هؤلاء العلماء والدعاة، الذين عاشوا منذ فجر الإسلام حتى القرن الرابع عشر الهجري، وبعد وفاة المؤلف رحمه الله نبغ في الهند أيضا علماء كبار، ودعاة عظام، كان كل واحد فيهم مجمعًا علميًّا.

وأتناول في هذا المبحث ثلاثة مطالب:

١- التعليم في شبه القارة الهندية قبل الاحتلال الإنجليزي.

٢ - التعليم في شبه القارة الهندية بعد الاحتلال الإنجليزي

٣- نماذج من المدارس والجامعات في شبه القارة الهندية.

أولا: التعليم في الهند قبل الاحتلال البريطاني:

مما لا شك فيه أن الإسلام دخل بلاد الهند بعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه، وأخذ سيل المسلمين يتدفق على هذه البلاد، وكوّنوا فيها ممالك كان لها أكبر الأثر في تقدم الحضارة الإسلامية، ورغم أن عدد

---

(١) هذا الاسم اختاره العلامة: أبو الحسن الندوي الكتاب والده بعد أن أضاف إليه بعض التراجم وذكر أن اسم الكتاب كما أسماه مؤلفه هو " نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" وقد طبع أول مرة في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد الدكن بالهند - وتوالت طباعته لديها والموجود منها هو الطبعة الثالثة لها (١٩٨٧م).

السكان في شبه القارة الهندية قبل التقسيم كان نحو (٤٠٠) مليون كان أكثر من (٨٠%) من السكان أميين.

أما في باكستان وحدها وهي تحتوي على أكثر مناطق شبه القارة تأخرا في التعليم، فكانت نسبة المتعلمين منخفضة عن ذلك.

ولذا فقد أولت الحكومة الباكستانية مشكلة التعليم عناية فائقة منذ اللحظة الأولي[١]، وفي شبه القارة الهندية كان التعليم مقتصرًا على الناحية الدينية غالبًا، وكان يُطلب في المساجد، كما كان متبعا في الجامع الأزهر الشريف، فكان كل طالب يدرس أمام أستاذه ومعلمه في حلقة من حلقات المسجد العلومَ الشرعية والعربية، وكان المدرس يتناول جميع المسائل بالشرح، والتفصيل، والتحقيق، والتمحيص، وكان الطلاب يستفتونه، ويستشيرونه في جميع أمورهم الدينية، والحياتية.

يقول الدكتور/النمر عن نظام التعليم في الهند قبل الاحتلال:"كانت المدارس الكثيرة في كل قرية مثل الكتاتيب، وكان أبناؤها يتعلمون فيها، ولكن بعد أن سيطر الإنجليز على البلاد، أغلقت المدارس وأصبح أهلها جهّالا"[٢].

ولم تخل قرية أو مدينة من الزوايا يتعلم الناس فيها شتي العلوم الدينية، والأمر بسيط للغاية فموضع التدريس علي شكل كوخ صغير، ومدرس واحد لسائر العلوم والفنون، وبعض التلاميذ في كل فصل[٣].

وبهذا يتضح لنا جليًّا أن التعليم الديني كان سائدًا في شبه القارة منذ أن دخل الإسلام هذه البلاد، وظل الحال هكذا حتى سيطر الإنجليز عليها فتغير الحال كما سنرى.

---

(١) فرج جبران: تعالى معي إلي باكستان (ص١٤٩).

(٢) تاريخ الإسلام في الهند (ص ٣٧٩، ٣٨٠).

(٣) مسعود الندوي: الدعوة الإسلامية في الهند (ص ٢١) ط باكستان بدون.

ثانيًا: التعليم في الهند بعد الاحتلال:

لما دخل الإنجليز بلاد الهند لم يكتفوا بسلب الأموال، بل تمكنوا من القضاء على كل من جابههم من العلماء، والأمراء، والسلاطين.

ومن هنا بدأ الهوان للمسلمين، ومطاردتهم، بل وطردهم وفصلهم من كل المجالات، وعملوا على إغلاق المدارس الدينية التي كانت موجودة في ذاك الوقت قبل الاحتلال، وفتح الإنجليز لهم مدارس خاصة، وجعلوا فيها منهجًا خاصًّا يليق بأهوائهم، ونظرياتهم البعيدة كل البعد عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

ومن هذه المدارس:

١- مدارس للتنصير هدفها تنصير المسلمين والدعوة إلى المسيحية.

٢- مدارس خاصة للبنات هدفها الأكبر تحلل المرأة من العادات والسنن الإسلامية.

٣- جامعات تدرس فيها العلوم العصرية فقط، دون توجيه سلوكي أو ديني.

ويصور لنا أحد الأساتذة هذه الصورة المأساوية فيقول[١] "في عهد الاحتلال الإنجليزي للهند تتابعت النكبات علي المسلمين بتمكين المستعمر، حيث أقام نظامًا لحكم البلاد يعتمد علي الآتي:

مئات من الخبراء الإنجليز يؤازرهم كثير من القوى السياسية والثقافية - اصطفاء عناصر تدين له بالولاء السياسي والفكري كما مر في حركة السير أحمد خان، وعلى استبعاد كل من كان في قلبه مثقال ذرة من حمية للوطن أو الدين عن مناصب الحكم والوظائف العامة، ثم أقام النظام الغاشم نظامًا للتعليم لا يوافق طبيعة المسلمين، فأبعدهم عن مجال الثقافة، وبهذا يتضح لنا ما فعله الإنجليز في الهند بصفة خاصة، وبالمسلمين بصفة عامة، فقد عملوا على عرقلة سير المنهج الإسلامي، والثقافة الدينية الصحيحة بشتى الوسائل،

---

(١) د. محمد عبد الغني شامة: أثر البيئة في ظهور القاديانية (ص٣١).

وبمختلف الطرائق، بوضع أيديهم على المدارس الدينية في كافة أنحاء الهند، وهذه الهمجية التي ظهرت من الحكومة الإنجليزية آنذاك، مع تحمس بعض الإنجليز لنشر المسيحية في طبقات الشعب الهندي، والسرعة الزائدة التي كانت الحضارة الغربية تنتشر بها في الجمهور، وتأثيرها في عقيدة المسلمين وأخلاقهم، كل ذلك وضعهم في مركز الدفاع عن دينهم عوضًا عن نشره بصورة طيبة كريمة بين صفوف الجماهير، هذا الأمر الذي جعل المسلمين يفكرون في بناء معاقل الحضارة الإسلامية، والثقافية، وتدريس العلوم الشرعية والعربية، للاحتفاظ بالقيم الباقية من العاطفة الدينية والروح الإسلامية[١].

وهذه المعاقل التي عرفت بعد بالمدارس العربية، والتي كان لها الأثر في تخريج الدعاة، والعلماء، والمرشدين، وسدت حاجات المسلمين في كل مجال علمي وعملي، وأثرها كالتالي:

١- تربية عقول المسلمين، وإيجاد البديل الإسلامي لهذا التعليم اللاديني المادي، الذي يصطدم بعقيدة المسلمين ويناقضها.

٢- مقاومة الأفكار الدخيلة، والشبهات المستوردة، وتعبئة الأمة بروح الجهاد.

وفيما يلي نماذج من هذه المدارس والجامعات:

إن في الهند مدارس إسلامية منشورة في كل أرجائها، وأنحائها لا يكاد يحصيها العدد، وبعضها تضاهي الجامعات الكبيرة، وتمتاز بدراسة العلوم الشرعية الخالصة.

أولا: دار العلوم ديوبند[٢]:

---

(١) الندوي: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية سابق (ص٦٥).

(٢) الندوي: المسلمون في الهند (ص ١١٧- ١٢٠)، الألوائي: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية (ص ٣١)، د سيد عبد الماجد : أعلام المحدثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري (ص ١٠٣ – ١٠٤)، عبد الحليم الندوي

تعد هذه الجامعة العريقة أكبر جامعة دينية في شبه القارة الهندية وتستحق أن يطلق عليها أزهر الهند، وكان افتتاحها في قرية "ديوبند" التابعة لمدينة سهارنفور في مسجد صغير سنة (١٢٨٣هـ) وأسسها العالم الجليل المخلص محمد قاسم النانوتوي[١].

ورُزقت من أول يومها رجالا عاملين مخلصين، وأساتذة خاشعين متقين، فسرت فيها روح التواضع، والتقوى، والاحتساب، ولم يزل صيتها يذيع، ونطاقها يتسع، وشهرة أساتذتها في الصلاح، والتقوى، والتبحر في شتي العلوم والفنون. حتى أَمَّها الطلبة من أنحاء الهند ومن الأقطار الإسلامية الأخرى.

وللمتخرجين من دار العلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند، ولهم فضل كبير في محو البدع، وإزالة المحدثات، وإصلاح العقيدة، والدعوة إلى الدين، ومناظرة أهل الضلال، والرد عليهم، وكانت لبعضهم مواقف محمودة في السياسة، والدفاع عن الوطن، وشعار هذه الجامعة التمسك بالدين، والتصلب في المذهب الحنفي، والمحافظة عليه مع الدفاع عن السنة الشريفة.

ولبعض المتخرجين منها مؤلفات قيمة في شرح الحديث، والتفسير، والفقه، ويأتي على رأسهم: العلامة محمود الحسن المتوفى (١٣٢٩هـ)، ومنهم المصلح الكبير المربي أشرف علي التهانوي توفي (١٣٩٢هـ)، وقد بلغت

مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند (ص٥) مطبعة نوري مدارس الهند بدون (ص٣١).

(١) محمد بن قاسم بن أسد النانوتوي ولد في (١٢٤٨هـ) وأسهم في ثورة الهند (١٨٥٧) وتبني فكرة تأسيس هذه الجامعة، وله مؤلفات عديدة توفي (١٢٩٨هـ). ينظر: الإعلام بمن ورد في تاريخ الهند من أعلام (٣٨٢/٧).

مؤلفاته تسعمائة وعشر، منها الصغير، والكبير، ومنها ثلاثة عشر كتابا بالعربية[١].

وتمتلك هذه الجامعة مكتبة عامرة تزخر بأثمن ما توجد في المكتبة العربية من الروائع للأدباء، والعلماء، والمحدثين، وتعد أغني وأوسع المكتبات في البلاد، إذ تضم مخطوطات نادرة قديمة، لاقت تقديرًا وإعجابًا في معارض تعليمية عديدة[٢].

ثانيا: جامعة مظاهر العلوم[٣]:

تعد هذه الجامعة من أعظم المراكز العلمية في شبه القارة الهندية، وقد تأسست في أوائل رجب (١٢٨٣هـ) بمدينة سهارنفور. وتعتني هذه الجامعة بتعليم القرآن الكريم قراءة وتجويدًا، وتعليم التفسير وعلومه، والحديث وفنونه، والنحو، والصرف، والمناظرة، والتاريخ، والأدب، بجانب اللغتين الفارسية، والأردية، ويهتم أساتذة الجامعة أثناء تدريسهم الفقه والحديث بالترجيح على التحقيق، وذلك بأسلوب حكيم لطيف، بحيث يبقي القلب ممتلئًا بتعظيم جميع الأئمة من السلف رحمهم الله تعالي رحمة واسعة.

إذ يعتقد أهل هذه الجامعة أن جميع أئمة الفقه والحديث كان همهم الأول، ومقصودهم الأوحد، هو اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وهم بذلك جميعا متبعون للحق، ومأجورون على اجتهادهم، رضي الله عنهم.

وفي الجامعة قسم خاص للإفتاء، يوجد فيه عدة من العلماء المتخصصين، وتصدر الجامعة شهريًّا مئات الفتاوى في شتي الشئون والفنون، فيكتب المعتنون بالحكم الشرعي في المسألة، وهذا القسم له علاقة وثيقة بجميع

---

(١) الإعلام بمن ورد في تاريخ الهند من أعلام (٦٥/٨)، د. ولي الله الندوي: الإمام عبد الحي اللكنوي (ص ٣٩) دار القلم دمشق (١٩٩٥م).

(٢) عبد الحليم الندوي: مراكز المسلمين التعليمية (ص٥).

(٣) د. تقي الدين الندوي: أعلام المحدثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري (ص ٢٢).

شئون حياة المسلمين، ويستفيد منه القاصي والداني، وهناك قسم خاص أيضا للمناظرة، يدرب فيه الطلبة على الأساليب التي يردون بها على أهل الزيغ، والأهواء، والبدع.

ويعتني بتفهيمهم مذهب أهل السنة والجماعة في كل مسألة حتى يعملوا على نشره وبثه في العالم، وتمتاز الجامعة وأساتذتها وطلبتها ببساطة في المعيشة، والقناعة بالكفاف، والقوة في الديانة[١].

ثالثًا: جامعة ندوة العلماء:

تأسست هذه الجامعة في لكنو (١٣١٢هـ) على يد العالم الرباني الشيخ محمد علي المونكيري[٢] وزملائه المخلصين، على مبدأ التوسط، والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وذلك لما رأى علماؤها أن الهوة قد اتسعت جدًّا بين التعليم العصري والتعليم الشرعي الديني، ووجدت بين المتخرجين من المدارس الدينية، والمتخرجين من المدارس المدنية فجوة وجفوة تتسع على مر الأيام، حتى أصبح هؤلاء أمة، وأولئك أمة، ولكل أمة لغة خاصة، وثقافة خاصة، ونفسية متميزة لا يفهمها الآخر، بل أصبح التعليم الديني في واد، والعصر الحديث في واد آخر.

وقد أصبح هذا العصر يتطلب من العالم الديني ثقافة أوسع، وأسلوبًا للدعوة أرقى، وأقرب إلى نفسية العصر، واطلاع على ما تجدد من العلوم والأفكار.

---

(١) المسلمون في الهند (ص ١١٩)، مراكز المسلمين التعليمية (ص١٣) د. سيد عبد الماجد: أعلام المحدثين في الهند (ص١٥٤).

(٢) أحد العلماء المشهورين في شبه القارة الهندية ولد (١٢٩٢هـ) وقرأ المختصرات على المفتي عناية الله وسافر إلي سهارنفور وأخذ عن المشايخ هناك وسافر إلي الحجاز وأقام بمكة سنة كاملة ورجع إلى الهند وأسس ندوة العلماء (١٣١١هـ). وتوفي ١٣٤٦هـ ودفن ببلدة مونكير. ينظر: الإعلام بمن ورد في الهند من أعلام (١٣٧٠/٨).

وبتعبير أصحاب هذه الجامعة التصلب في الأصول، والتوسع في الفروع والآلات والمرونة فيها[١].

ولقد عنيت هذه الجامعة بتدريس القرآن الكريم؛ لأنه كتاب كل عصر وجيل وبالحديث الشريف، ووجهت عنايتها إلى تعليم اللغة العربية كلغة حية من لغات البشر يكتب بها ويخطب.

وحدثني أحد أساتذتها ممن تعلموا فيها، وتربوا على أيدي علمائها، ثم صار أستاذًا بها فيما بعد، وهو الدكتور مصطفي أبو سليمان الندوي أستاذ الحديث الشريف وتلميذ شيخها أبي الحسن الندوي رحمه الله تعالي قائلا " لقد نجحت هذه الجامعة في أداء رسالتها نجاحا باهرا إذ برز في صفوفها علماء كبار قاموا بخدمات جليلة في نشر الدين وتعليمه، كما وضعوا كتبًا قيمة في السيرة النبوية، والتاريخ، وعلم الكلام والأدب، وهي لا تزال مرجعا للطلبة والباحثين والعلماء اليوم".

وكان للعلامة السيد سليمان الندوي[٢] رحمه الله فضل كبير في إعادة ثقة الجيل الجديد بالثقافة الإسلامية، وكان لكتابه "السيرة المحمدية" الذي يعد وبحق من أجمل ما كتب ودون في السيرة الزكية، وكان كذلك للعلامة شبلي النعماني يد بيضاء في السير بهذه الجامعة على درب أسلافه المحافظين من جهة والمجددين من جهة أخرى.

---

(١) الندوي: الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها (ص٣٣) ط لاهور باكستان بدون. د. سيد عبد الماجد: أعلام المحدثين في الهند (ص١٥٨).

(٢) أحد العلماء المشهورين في شبه القارة ولد (١٣٠٢هـ) والتحق بندوة العلماء في (١٣١٨هـ) ونال الشهادة والإجازة منها (١٣٣٢هـ) له دقة في البحوث وتنوع في المؤلفات توفي (١٣٧٣هـ). الإعلام (١٢٣٨/٣).

ولا تُنسى مساهمات علماء هذه الجامعة في حركة البلاد السياسية، والثقافية، والأدبية، ما أكسبتهم تقدير رجال الثقافة، والسياسة، والحكم، وأبعدت عنهم تهمة الانعزالية التي أصيب بها العلماء في العصر الأخير[١].

وقد نشأ في رحابها العلماء، والأدباء الذين لهم صيت ذائع، ومكانة بارزة في العلوم الشرعية، واللغة العربية، حيث اعترف بسعة اطلاعهم، وغزارة علمهم، كبار العلماء والأدباء، نخص بالذكر منهم الشيخ مسعود عالم الندوي[٢]، والعلامة الكبير أبو الحسن علي الحسني الندوي، والشيخ محمد ناظم الندوي[٣] وغيرهم مما لا يحصي عددهم إلا الله سبحانه، ويعتبر هؤلاء بحق من كبار علماء العصر وأساطين العلم والفن.

وتملك ندوة العلماء مكتبة عامرة غنية بالكتب القيمة في علوم القرآن الكريم، والحديث، والفقه، والأدب، والتاريخ، وكثير من المخطوطات النادرة في جميع الفنون والعلوم[٤].

رابعا: مدرسة الرياسة[٥]:

---

(١) الندوي: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية (ص٦٧).

(٢) هو الداعية الشهير وكاتب العربية القدير الأستاذ مسعود الندوي، انتقل إلى جوار ربه (١٣٧٣هـ).

(٣) العالم الجليل محمد ناظم الندوي أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك سعود بالرياض سابقا ورئيس الجامعة الإسلامية بباكستان حاليا.

(٤) المسلمون في الهند (ص١٢٧)، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند (ص ٤١-٤٣)، مسعود الندوي: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (ص١٩٧-١٩٩) الدار العربية للنشر والتوزيع القاهرة، د. سيد عبد الماجد: أعلام المحدثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري (ص ١٠٩).

(٥) ينظر: حياة شيلي النعماني للعلامة السيد سليمان الندوي (ص١٠٠)، الإمام اللكنوي (ص ٤٣).

وهي من المدارس التي أدت رسالتها العلمية، والدينية، في بلاد الهند، أسسها الأمير صديق حسن خان، وأسماها مدرسة الرياسة.

وهذه المدرسة أقل شهرة، وأضعف صيتا، من الجامعات التي مر ذكرها، وإن كانت من المراكز التي أدت خدمة جليلة في نشر العلوم الدينية في طول البلاد وعرضها، لا سيما علوم السنة، وكان علماء الحديث في شبه القارة وخارجها ينظرون إليها نظرة تقدير وإعجاب بالغ[١]، وممن أفتي ودرّس وصنف فيها، الشيخ القاضي حسين بن محسن اليماني، والعلامة زين العابدين اليماني[٢]، والشيخ محمد بشير السهسواني[٣].

خامسا: الجامعة السلفية في مدينة "بنارس":

أسست هذه الجامعة جمعية تسمي أهل الحديث في شبه القارة، وذلك في عام (١٣٨٣هـ)، وبدأت نشاطاتها التدريسية في عام (١٣٨٥هـ)، ونالت ترحيبًا وتقديرًا في الهند، وخارجها في مدة قليلة. وقد ركزت الجامعة

---

(١) أعلام المحدثين في الهند في القرن الربع عشر الهجري (ص١٥٧) د. سيد عبد الماجد الغوري سابق.

(٢) هو الشيخ العالم الكبير المحدث زين العابدين الخزرجي السعدي اليماني أحد العلماء المشهورين في شبه القارة في القرن الثالث عشر الهجري ولد ونشأ ببلدة "حديدة" في اليمن وأخذ العلم عن السيد حسن بن عبد الأهدل وصحبه ولازمه حلقات دروسه في الحديث والفقه حتى برع وصار علما من أعلام الثابتين المتمكنين، سافر إلى الهند واقام في بلدة "بهو فال" وعين نائب قاضيها وقاضيا توفي في "بهو فال" سنة (١٢٩٧هـ)، وله مؤلفاته قيمة منها "شرح المناسك"، "مجمع الفتاوي" ينظر أعلام المحدثين في الهند (ص١٥٧) هامش رقم (٤).

(٣) العلامة السهسواني كان من كبار العلماء وصاحب ذكاء مفرط وحيد القريحة ويقولون عنه له مهارة تامة في أصول الفقه وكان الأمير صديق حسن خان يحترمه غاية الاحترام له مصنفات عديدة بالعربية.

عنايتها بصفة خاصة على تدريس القرآن الكريم، والحديث الشريف، واللغة العربية وآدابها، والعلوم الاجتماعية القديمة والحديثة.

سادسًا: المعهد العالي للدراسات العليا:

أسس هذا المعهد محدث الهند الكبير العلامة حبيب الرحمن الأعظمي، وذلك في (١٣٩٨هـ) في مدينة "منو" وركز عنايته فيه على تدريس فنون الحديث الشريف، والتفسير، وجعله موئلا لطلبة العلم، الذين يريدون الانتفاع بالتخصص الدقيق في فنون الحديث الشريف.

وقطع هذا المعهد الناشيء شوطًا كبيرًا من الرقي، والتقدم، والاتساع في مدة قصيرة، وأَمَّه الطلبة من جميع أرجاء الهند، والبلدان المجاورة.

سابعًا: مدرسة الإصلاح:

وقد أسسها العالم الكبير حميد الدين الفراهي، وهو من العلماء الأثبات والمتمكنين في شبه القارة في القرن الرابع عشر الهجري، ولد بقرية "فريها" من قري مديرية "أعظم كرة" (١٢٨٠هـ)، وحفظ القرآن الكريم، ودرس اللغة العربية وآدابها علي شيخ الهند العلامة شبلي النعماني، وسافر إلى لكنو، وحضر الشيخ عبد الحي اللكنوي، وارتحل إلى لاهور، وأخذ الأدب من الشيخ الأديب فيض الله السهارنفوري، وعكف على التدريس، والإفادة، وله مؤلفات قيمة بالعربية مثل الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، وأسس هذه المدرسة (١٣٢٩هـ - ١٩٠٩م) على طراز "ندوة العلماء"، لا سيما وقد أفاد من قائدها شبلي النعماني، ولخريجي هذه المدرسة فضل كبير في تنوير أذهان الجيل الناشئ، وتلقينهم أصول الدين الحنيف، وتبليغها إليهم، ومن أبرز متخرجي هذه المدرسة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، الذي ساهم

مساهمة عظيمة في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الأردية على منوال أستاذه العلامة حميد الدين الفراهي وذلك في أسلوب ممتع جذاب[١].

* * *

(١) ينظر: مراكز المسلمين التعليمية والثقافية في الهند (ص ٥٢,٥٦) والمسلمون في الهند (ص ١٢٧) وعن سر نجاح هذه المدارس يحدثنا العلامة الندوي رحمه الله سبحانه وتعالى فيقول "ونجاح هذه المدارس والجامعات في أداء رسالتها نشر الدين والعلم أنها لم تكن تنال مساعدة الحكومة وكانت قائمة على أساس الزهد والتضحية والجهاد فأثار تلك فيها روح النشاط وقوة العمل.

المبحث السادس

أشهر علماء شبه القارة الهندية ودعاته

لم تكن الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية، وتطوراتها، إلا حلقة من حلقات سلسلة الدعوة الكريمة الممتدة عبر التاريخ للأمة المسلمة، وإن هذا التاريخ حافل بالجهود المتواصلة، التي بذلها الدعاة في مختلف بقاع الأرض لنشر دين الله الحنيف بين الناس، وذلك بتصحيح عقائدهم، وإصلاح أمورهم، وتثقيف نفوسهم من الخرافات، والخزعبلات، والبدع، والأهواء، وما دامت هناك طائفة من المسلمين تقوم بالدعوة إلي الله بجد وإخلاص لإعلاء كلمة الله تعالى ونشر دينه، فإن الأمة المسلمة تكون عزيزة محفوظة القدر والمكانة، وإلي هذه الحقيقة أشار النبي الكريم في حديثه بقوله: "إِنَّ العُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَرَّثُوا العِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ) [(١)].

وإذا نظرنا إلى تاريخ الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية على مر تاريخها، نرى العلماء المصلحين، أعلام الهدى، ومنارات الطريق، وإليهم بعد الله سبحانه يرجع الفضل في انتشارها وتطورها في أرجاء شبه القارة الهندية، ويطول الحديث لو أردنا استقصاء هؤلاء، ولكنها نبذة عن أشهرهم، وأكثرهم تأثيرًا في المجتمع الهندي، أمثال: الشيخ معين الدين الجشتي، والشيخ المربي مجدد الألف الثاني أحمد السرهندي، والشيخ الإمام ولي الله الدهلوي، والشيخ الإمام رشيد أحمد الكنكوهي، والداعية الشهير محمد إلياس الكاندهلوي، والإمام ذائع الصيت المربي أبي الحسن الندوي.

١- الشيخ معين الدين الجشتي[(٢)]:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا، كتاب: العلم، باب: العلم قبل القول والعمل (٢٤/١).

(٢) ينظر: نزهة الخواطر (٩١/١)، الدعوة الإسلامية وتطورها (ص ٢٠٨) وما بعدها، تاريخ الإسلام في الهند (٢١٨).

وُلد الشيخ معين الدين في عام (٥٧٣هـ - ١١٤٢م)، بمدينة "سجستان" من بلاد فارس، وكان والده الشيخ غياث الدين حسن رجلًا غنيًّا، واسع النفوذ في مجتمعه، وهو يتحدَّر من سلالة الحسينيين، وشبّ الشيخ معين في رغد من العيش، وتلقى تعليمه الابتدائي تحت إشراف والده الذي توفي وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، فورث منه بساتين الفاكهة والثمار، وبدأ يعمل فيها، ويشرف عليها.

غادر الشيخ معين الدين مسقط رأسه طلبًا للعلم والمعرفة، فوصل إلى مدينة سمرقند، والتي كانت حينذاك محطّ طلاب العلم من شتى أنحاء العالم، ومركز العلوم الإسلامية، وهناك حفظ القرآن الكريم، ودرس علوم التفسير، والحديث، والفقه بتعمق.

ثم اشتد شوقه إلى تحصيل علوم التصوف، فارتحل من سمرقند إلى العراق، وهناك توجه إلى منطقة هارون، حيث التقى بالشيخ العارف بالله عثمان الهاروني رحمه الله تعالى، وأخذ منه المعارف الربانية مدة عشر سنوات متوالية، وكان يصحبه في أسفاره وجولاته، وبايعه مريدا له.

وذاع صيت الشيخ معين الدين في أرجاء العراق، وكثر أتباعه في كل مكان، ثم ذهب الشيخ إلى بلدة أصفهان، ولقي فيها الشيخ الرباني وتتلمذ على الشيخ الرباني محمود الأصفهاني، وحظي بمكانة مرموقة لدى رجال العلم والأدب فيها.

وصل الشيخ معين الدين جشتي إلى الهند قبيل عهد حكم المماليك في دلهي، واستقر بمدينة أجمير في ولاية راجستان، وتحدث تلميذه الشيخ قطب الدين بختيار أن الشيخ معين الدين الجشتي كان يعظ الناس يومًا قبل ذهابه إلى الهند، فاغرورقت عيناه بالدموع وسأله مريدوه عن سبب بكائه فقال: إنني سأسافر إلى بلد أتخذه مقرا وأُدفن فيه، والآن قد حان الوقت لأن أودعكم أيها الأصحاب الأفاضل، وهكذا خرج الشيخ من أصفهان قاصدًا الهند، وبصحبته مريده الوفي وخليله الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي.

وصل أولًا إلى مدينة لاهور، ثم انتقل إلى ملتان، وأقام فيها حوالي خمس سنوات، تعلم خلالها اللغتين السنسكريتية والهندية، ودرس علوم الهند، وفلسفتها، وحكمتها، فهؤلاء مهما كانوا متصوفين، ونساكًا، ومنقطعين للعبادة في الصوامع، أو الزوايا، قد اتخذوا العلم رائدًا، ولم يمنعهم زهدهم، أو تصوفهم، من تعلم اللغات، وتحصيل العلوم والفنون المختلفة، وكان منهم لغويون، وشعراء، وأصحاب مهن وحرف متنوعة.

وانتقل الشيخ معين الدين من ملتان إلى أجمير ليستقر فيها، وكانت مدينة أجمير في تلك الأيام مركزًا دينيًّا، وعلميًّا للطائفة الهندوسية، وكان فيها آلاف النساك والحكماء، فوجد الشيخ فيها بفضل سعة علمه، ورحابة صدره، وأسلوب دعوته، أرضًا خصبة لنشر تعاليم الدين الحنيف ومبادئه بين شتى الطبقات، وصار مجلسه كعبة أهل أجمير، وتأثروا بدروسه، ومواعظه، وقد أسلم على يديه الناسك الهندي الكبير "جاي بال" وسماه الشيخ معين الدين "عبد الله" وقد أصبح من أقرب الناس إليه، وبمثابة ساعده الأيمن في دعوته إلى الصلاح والتقوى.

ومن ميزات مجلس الشيخ معين الدين في أجمير، أنه كان ملجأ طلاب المعرفة، والتائبين عن الذنوب، يأتي العصاة إلى مجلسه ويقومون على يديه فيعودون من عنده متعهدين بالتزام الطريق السويّ في الحياة، وساد الأمن في البلاد بفضل دعوته، فاطمأن الناس على حياتهم، وممتلكاتهم، من قطاع الطرق واللصوص، كما اختفى الاحتكاك الطائفي والتنازع الطبقي، وصار الشيخ يحل النزاع بطرق ودية سلمية، ويؤلف القلوب بين الهندوس والمسلمين.

كان الشيخ الجشتي يدعو الناس أولًا إلى الإيمان بالذات الإلهية، وقدرته جل جلاله، وسيطرته على كل الكائنات، وإلى التمسك بأهداب القيم الروحية الكامنة في جميع الأديان، والتي جاء الأنبياء الكرام لإحيائها، ونزلت بتبيانها الكتب السماوية، ودعا إليها الحكماء في كل زمان ومكان.

وأثناء رحلاته الدعوية في المدن والقرى كان يجتمع بعلمائها، وفضلائها، كي يستفيد من خبراتهم، ويتبادل الآراء معهم في شئون إصلاح الأمة، وإقرار السلام في المجتمع، وما كان يستبد برأيه قط في أمر من الأمور، وكان مجلسه يكتظ بنساك الهندوس، ومشايخ المسلمين، ومن مختلف الملل والأديان.

كانت وفاته في اليوم السادس من شهر رجب سنة (٦٣٣هـ) وافته المنية وهو يعظ الناس بمدينة أجمير، ودفن بها وسط جو من الحزن الشديد الذي ساد طوال الهند وعرضها.

وقد جمع مريده الفاضل الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي أقواله المأثورة، ومبادئه الخاصة، في كتاب سماه "دليل العارفين".

٢- الشيخ المربي مجدد الألف الثاني أحمد السرهندي[١]:

الشيخ الأجل الإمام العارف، بحر الحقائق والأسرار والمعارف، محيي السنن النبوية، ناصر الشريعة البيضاء السنية، مشيد مباني الطريقة، مجدد معالم الحقيقة، شيخ الإسلام والمسلمين، أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين رضي الله عنه، ولد بسرهند في شوال سنة إحدى وسبعين وتسعمائة، وأخذ أكثر العلوم والطريقة الجشتية عن أبيه، واستفاد بعض العلوم العقلية عن الشيخ كمال الدين الكشميري، وأسند الحديث عن الشيخ يعقوب بن الحسن الصرفي الكشميري، الذي أخذ عن الشيخ شهاب ابن حجر الهيتمي المكي، ثم تناول الحديث المسلسل بالأولية عن القاضي بهلول البدخشي، عن الشيخ عبد الرحمن فهد، عن أبيه الشيخ عبد القادر، وعمه الشيخ جار الله، عن أبيهما الحافظ عز الدين عبد العزيز، عن جده الحافظ الرحلة تقي الدين محمد بن فهد العلوي الهاشمي، والحافظ الحجة شهاب الدين أحمد بن حجر

---

(١) ينظر: نزهة الخواطر (٤٧٩/٥)، الشيخ أبو الحسن: رجال الفكر والدعوة، مجدد الألف الثاني، الجزء الخاص بالإمام السرهندي، الزركلي: الأعلام (١٤٢/١)، دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر (٢٠٠٢م).

العسقلاني، وللشيخ أحمد إجازة برواية الكتب الحديثية وغيرها عن القاضي المذكور.

ولما فرغ من تحصيل ما تيسر له من العلوم الظاهرة، وكان إذ ذاك ابن سبع عشرة سنة، اشتغل بالتدريس والتصنيف، ومما صنفه في تلك الأيام رسالة في إثبات النبوة، وأخرى في الرد على الشيعة الإمامية، وغير ذلك، مما أثنى عليه العلماء، وألبسه أبوه خرقة الخلافة.

فلما توفي أبوه عام سبعة وألف، ارتحل إلى دهلي يريد الحج، فقاده قائد توفيق من الله عز وجل إلى الشيخ الأجل رضي الدين عبد الباقي النقشبندي رضي الله عنه، فأخذ عنه الطريقة النقشبندية، وبشره الشيخ بحصول رتبة التكميل والترقي إلى مدارج القرب والنهاية، ثم أجازه بإرشاد الطالبين، وألبسه خرقة الخلافة، ولم يزل يكرمه، ويجله، ويفتخر به، ويثني عليه، بما لا يبلغ وصفه.

ورجع إلى سرهند، وجلس على كرسي الإرشاد، وأخذ في الدرس والإفادة، وكان يدرس في علوم شتى من الفقه، والأصول، والكلام، والتفسير، والحديث، والتصوف، وربما يشتغل بالهداية، والبزدوي، وشرح المواقف، والبيضاوي، والمشكاة، والبخاري، والعوارف، وله مكتوبات في ثلاثة مجلدات ضخام، وهي الحجج القواطع على تبحره في العلوم الشرعية، وفيها ما لا يتبادر إلى الأذهان.

ومن مصنفاته المشهورة ورسائله المفردة: المبدأ والمعاد، والمعارف اللدنية، والمكاشفات الغيبية، وغير ذلك، وله رسالة في بيان العقائد على مذهب الماتريدية، وهذّب وجدّد وقعّد في الطريقة النقشبندية.

وكانت وفاة الشيخ أحمد لليلتين بقيتا من صفر سنة أربع وثلاثين وألف بمدينة سرهند، فصلى عليه ابنه محمد سعيد ودفنه بها، وقبره هناك مشهور.

٣- الشيخ الإمام ولي الله الدهلوي[١]:

الشيخ الإمام الهمام حجة الله بين الأنام، إمام الأئمة، قدوة الأمة، علامة العلماء، وارث الأنبياء، زعيم المتضلعين بحمل أعباء الشرع المتين، محيي السنة، شيخ الإسلام قطب الدين أحمد ولي الله بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي.

كان والده الشيخ عبد الرحيم من وجوه مشايخ دهلي، ومن أعيانهم، وله حظ وافر من العلوم الظاهرة، والباطنة، مع علو كعبه في طريقة الصوفية، وبشره الشيخ قطب الدين بختيار الأوشي برؤيا صالحة في ولده أحمد، وقال له أن يسميه باسمه إذا ولد فلذلك قيل له قطب الدين، وقد وُلد يوم الأربعاء لأربع عشرة خلون من شوال سنة أربع عشرة ومائة وألف.

تلقى الشيخ ولي الله العلوم الابتدائية من والده الشيخ عبد الرحيم الذي كان مديرًا لمدرسة كانت تسمى المدرسة الرحيمية، دخل الكتّاب في الخامسة من عمره، وأكمل حفظ القرآن الكريم في السابعة، وأكمل دراسته للعلوم الابتدائية وهو ابن عشر سنوات. كان يدرس كتاب "شرح الملا جامي على كتاب الكافية" لابن الحاجب، ولما بلغ أربع عشرة سنة درس الجزء المقرر من "تفسير البيضاوي"، وأكمل التحصيل العلمي، وبايع والده في سن الخامسة عشرة على الطريقة النقشبندية. وكان الشيخ ولي الله الدهلوي ذكيًّا مفرطًا في الذكاء، جيد الحفظ، ومن هنا تمكن من إكمال الدراسة في هذا العمر المبكر، يقول ابنه الشاه عبد العزيز عنه: "ما رأيت أحدًا أقوى ذاكرة من والدي".

واشتغل بالدرس نحوًا من اثنتي عشرة سنة، وحصل له الفتح العظيم في التوحيد، والجانب الواسع في السلوك، ونزل على قلبه العلوم الوجدانية فوجًا فوجًا، وخاض في بحار المذاهب الأربعة، واشتاق إلى زيارة الحرمين

---

(١) ينظر: نزهة الخواطر (٨٥٦/٦)، الشيخ أبو الحسن: رجال الفكر والدعوة الجزء الخاص به.

الشريفين فرحل إليها، وصحب علماء الحرمين، وتتلمذ على الشيخ أبي طاهر محمد الكردي المدني، والشيخ تاج الدين القلعي والشيخ محمد وفد الله المالكي، وأما مصنفاته الجيدة الحسان الطيبة فكثيرة، فقد صنف في التفسير، والحديث، والتوحيد، وأصول الدين، وأسرار الشريعة، والسير، والأدب، والسلوك، وغيرها الكثير، ومن أهم ما صنف كتاب "حجة الله البالغة"، وكتاب "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء"، "والقول الجميل في بيان سواء السبيل"، "والتفهيمات الإلهية"، "والدر الثمين في مبشرات النبي الأمين"، "والنوادر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر"، "والفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين"، "والفوز الكبير في أصول التفسير"، وغير ذلك الكثير.

ولقد قام الإمام ولي الله الدهلوي بعمل تجديدي وإصلاحي ضخم جدًّا، ولا يمكن تخيلُ ضخامة ذلك العمل التجديدي، ما لم نطلع على أحوال المسلمين في الهند في تلك الفترة، وما لم نتصور تلك الظروف التي آلت إليها الحالة السياسية، والاجتماعية، والدينية، والفكرية، للمسلمين في الهند في الفترة التي بدأ فيها الشيخ عمله التجديدي، وذلك من خلال: التدريس، والإصلاح الفكري والعلمي، والتصنيف.

توفي الشاه ولي الله في التاسع والعشرين من محرم سنة ألف ومائة وست وسبعين في دهلي، ودُفن في مقبرة آباءه خارج باب دهلي، وله اثنتان وستون سنة.

٤- الشيخ الإمام رشيد أحمد الكنكوهي[١]:

الشيخ الإمام العلامة المحدث رشيد أحمد بن هداية أحمد بن بير بخش بن غلام حسن بن غلام علي بن علي أكبر بن القاضي محمد أسلم الأنصاري الحنفي الرامبوري ثم الكنكوهي أحد العلماء المحققين، والفضلاء المدققين، لم يكن مثله في زمانه في الصدق، والعفاف، والتوكل، والتفقه، والشهامة، والإقدام في المخاطر، والصلابة في الدين، والشدة في المذهب.

---

(١) ينظر: نزهة الخواطر (١٢٢٩/٨) وما بعدها.

ولد لست خلون من ذي القعدة سنة أربع وأربعين ومائتين وألف، ببلدة كنكوه في بيت جده لأمه، ونشأ بين خؤولته، وكان أصله من رامبور قرية جامعة من أعمال سهارنبور، وقرأ الرسائل الفارسية على خاله محمد تقي، والمختصرات في النحو والصرف على المولوي محمد بخش الرامبوري، ثم سافر إلى دهلي وقرأ شيئاً من العربية على القاضي أحمد الدين الجهلمي، ثم لازم الشيخ مملوك العلي النانوتوي، وقرأ عليه أكثر الكتب الدرسية، وبعضها على المفتي صدر الدين الدهلوي، وقرأ كتب الحديث والتفسير أكثرها على الشيخ عبد الغني، وبعضها على صنوه الكبير أحمد سعيد بن أبي سعيد العمري الدهلوي، حتى برع وفاق أقرانه في المعقول، والمنقول، ورجع إلى كنكوه، وتزوج بخديجة بنت خاله محمد تقي، ثم حفظ القرآن الكريم في سنة واحدة، ثم أخذ الطريقة عن الشيخ الأجل إمداد الله بن محمد أمين العمري التهانوي، ولازمه مدة، ثم تصدر للتدريس بكنكوه، أفرغ أوقاته لدرس الصحاح الستة، والتزم أن يدرسها في سنة واحدة، وكان يقرىء جامع الترمذي أولاً، ويبذل جهده فيه في تحقيق المتن والإسناد، ودفع التعارض وترجيح أحد الجانبين، وتشييد المذهب الحنفي، ثم يقرىء الكتب الأخرى سنن أبي داود، فصحيحي البخاري ومسلم، فالنسائي، فابن ماجه، سردًا مع بحث قليل فيما يتعلق بالكتاب، ولم تكن له كثرة اشتغال بالتأليف.

وكانت أوقاته موزعة مضبوطة، يحافظ عليها صيفاً وشتاء، فإذا صلى الفجر اشتغل بالذكر، والفكر في الخلوة، حتى يتعالى النهار، ثم يتطوع ويقبل على الطلبة، وهم كبار العلماء والمحصلين، يدرسهم في الفقه، والحديث، والتفسير، واقتصر في آخر عمره على تدريس الصحاح الستة، فلما كف بصره ترك التدريس وتوسع في الإرشاد والتحقيق.

وكان آية باهرة، ونعمة ظاهرة في التقوى، واتباع السنة النبوية، والعمل بالعزيمة، والاستقامة على الشريعة، ورفض البدع، ومحدثات الأمور، ومحاربتها بكل طريق، والحرص على نشر السنة، وإعلاء شعائر الإسلام، والصدع بالحق، وبيان الحكم الشرعي، ثم لا يبالي بما يتقاول فيه الناس، لا

يقبل تحريفاً، ولا يتحمل منكراً، ولا يعرف المحاباة والمداهنة في الدين، مع ما طبعه الله عليه من التواضع، والرفق، واللين، دائراً مع الحق حيث ما دار، يرجع عن قوله إذا تبين له الصواب، انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل ورئاسة تربية المريدين، وتزكية النفوس، والدعوة إلى الله، وإحياء السنة.

له مصنفات مختصرة قليلة، منها تصفية القلوب، وإمداد السلوك، وهداية الشيعة، وزبدة المناسك، وهداية المعتدي، وسبيل الرشاد، والبراهين القاطعة في الرد على الأنوار الساطعة، للمولوي عبد السميع الرامفوري طبع باسم الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، وبعض رسائل في المسائل الخلافية، والرد على البدع، وقد جمع بعض أصحابه رسائله في مجموعة، وجمعت فتاواه في ثلاثة مجلدات.

كانت وفاته يوم الجمعة بعد الأذان لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف.

٥- الشيخ محمد إلياس الداعية الشهير [١]:

هو الإمام الجليل، والداعية الشهير، العارف بالله مؤسس «جماعة التبليغ» المنتشرة في آفاق العالم أجمع، ولد سنة (١٣٠٣هـ) الموافق (١٨٨٠م) بين أخواله في أسرة دينية، وسمي بـ «إلياس أختر»، وهو اسمه التاريخي، ولكنه اشتهر بمحمد إلياس، ودرس على أخيه الشيخ المحدث الجليل محمد يحيى الكَانْدِهِلْوِي؛ فأخذ عنه التفسير، والحديث، والفقه، وبقية العلوم بإتقان تام، وإمعان كامل، وسمع صحيح البخاري، وسنن الترمذي، من العلامة المجاهد شيخ الهند محمود حسن الدِّيُوبَنْدي، وقد بايعه الشيخ محمد إلياس، وأقام لدى الشيخ رشيد أحمد الكَنْكُوهِي أكثر من عشر سنين،

---

(١) ينظر: الشيخ أبو الحسن: الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها، والداعية الكبير الشيخ محمد إلياس ودعوته إلى الله.

بعد مبايعته في السلوك في صباه، يرتشف العلم من أخيه الشيخ محمد يحيى، ويُعَمِّر باطنه بأنفاس الإمام الكَنْكُوهِي وتربيته.

وقد قام بالتدريس في جامعة «مظاهر العلوم» سنين عديدة، وبعد وفاة أخيه الشيخ محمد يحيى الكَانْدِهِلْوِي انتقل إلى «كورة حضرت نظام الدين» بـــدلهي ليقوم بأعباء المدرسة التي كان قد أسسها والده الشيخ محمد إسماعيل، وكان يُغرِق جُلّ وقته في الرياضة الروحية التي اكتسبها وراثة، وقد تجلى هذا أثناء قيامه بنظام الدين، فكان يرغب في الخلوة، والعزلة، ثم ألقى الله في روعه أن يقوم بإصلاح عباد الله، ودعوتهم إلى الدين، وأن يبذلوا جهودهم وأموالهم، لإصلاح أنفسهم، فاجتهد لذلك اجتهادًا عظيمًا، يجول في الصحاري، والبراري، والقرى، والمدن، راكبًا، وماشيا، بكل إخلاص وفراغ قلب، يريد أن يصل إلى عامة المسلمين، ويحرضهم على الطاعة، ويوقظهم من غفلتهم، ويتحمل إيذاء بعضهم وسخريتهم، فلا همّ له ولا مطلب من أي حركة أو عمل، إلا إيقاظ الناس من غفلتهم، وتحريضهم على التضحية، والعمل لدين الله، وأقر الله عينه في آخر حياته فشاركه في عمله هذا تلاميذه، وأصحابه، ومريدوه.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في معرض حديثه عن التاريخ الديني في شبه القارة الهندية: " ... وأختصر وأزين حديثي هذا بذكر دعوة وحركة دينية قوية، كان لي شرف الاتصال بها عن كثب لا عن كتب، وشرف التعرف بمؤسسها وبالأصح داعيها، وقد صحبته مدة، ورافقته في السفر والحضر، فهذا لون جديد من الحديث، وأريد أن أحدثكم أولًا عن صاحب هذه الدعوة، فإن الفكرة تتضح كثيرا بمعرفة صاحبها، وهنا أكرر لكم ما تحدثت به من محطة الإذاعة الهندية في دهلي عن صاحب هذه الدعوة، وتأثري به، وكان موضوع الحديث رجال عرفتهم وأعجبت بهم.

في سنة (١٣٥٩هـــ) (١٩٤٠م) خرجت مع رفيقين، أطالع مشاريع التعليم والتربية ومراكزهما في الهند، وانتهت بي هذه الرحلة إلى دهلي، ومنها إلى ميوات، الرقعة التي هي مشهورة في التاريخ باللصوصية، والشطارة،

والنهب، والغارة، حتى كانت أبواب سور مدينة دهلي تقفل من بعد الغروب خوفًا من هؤلاء اللصوص، فسمعت أنها مجال كبير لإصلاح ديني خلقي جديد، ولما زرتها وجدت انقلابًا مدهشًا في الأخلاق والنفوس، تنقلت في القرى والأماكن، وتتبعت الأخبار، فعلمت أن الناس الذين كان القتل عندهم أهون شيء، وقد يقتلون الإنسان لأمر تافه، ودرهم زائف، صاروا الآن يحرسون الأموال، والأعراض، ويعفون عن المحارم، رأيت فيهم إقبالًا على العلم، وتواضعًا، وحفاوة، وضيافة، ودماثة خلق، وإيثارًا على النفس، وألفة ومودة لا توجدان في هذا العصر المادي، وعزوفا عن الشهوات، وصبرًا على المشاق، وإيمانًا وصلاحًا، وعلمت أن ألوفًا من الناس هناك تأثروا بهذا الإصلاح، وانقلبت نفسيتهم انقلابًا عجيبًا.

هنالك فحصت عن منبع هذا الانقلاب، فسمعت أن لا جمعية، ولا جامعة، ولا دعاية، ولا صحيفة، ولا اكتتاب، إنما هو رجل متواضع في دهلي قد بث الروح في هذه الأمة البعيد عن الديانة، وهذب النفوس، ونشر الدين والعلم، وحدا بي الشوق إلى زيارته فجئت إلى دهلي، فإذا هو رجل نحيف، أسمر اللون، قصير القامة، كث اللحية، تشف عيناه عن ذكاء مفرط، وهمة عالية، على وجهه مخايل الهم والتفكير، والجهد الشديد، ليس بمفوه ولا خطيب، بل يتلعثم في بعض الأحيان، ويضيق صدره، ولا ينطلق لسانه، ولكنه كله روح ونشاط، وحماسة ويقين، لا يسأم ولا يمل من العمل، ولا يعتريه الفتور والكسل.

صحبت مولانا محمد إلياس مركز هذا النشاط الذي وصفته مدة طويلة، ورافقته في السفر والحضر، فرأيت نواحي من الحياة لم تنكشف لي من قبل، فمن أغرب ما رأيت يقينه الذي استطعت به أن أفهم يقين الصحابة، فكان يؤمن بما جاءت به الرسل إيمانًا يختلف عن إيماننا اختلافًا واضحًا، كاختلاف الصورة والحقيقة، إيمانًا بحقائق الإسلام أشد وأرسخ من إيماننا بالماديات والمحسوسات، وبخواص الأشياء، والأدوية، ومضارها ومنافعها، وتجارب

حياتنا، فكان كل شيء صح في الشرائع، وثبت من الكتاب والسنة حقيقة لا يشك فيها، وكأنه يرى الجنة والنار رأي عين.

ورأيته في حالة عجيبة من التألم والتوجع والقلق الدائم كأنه على حسك السعدان، يتململ تململ السليم، ويتنفس الصعداء، لما يرى حوله من الغفلة عن مقصد الحياة، وعن غاية هذا السفر العظيم، وعن خالق هذا الكون، ومن الاستهانة بقيمة الحياة وتضييعها في غير محل، ولا أجد له مثلًا إلا كالذي يرى الحريق في بيت، وقد أحاطت النيران بأولاده، وأسرته، ونفائسه، فيصرخ ويضطرب ولا يقر له قرار، وعرفت برؤيته معنى الحب، وصدقت ما نقل عن الأنبياء من الحزن، والقلق، والحرص على الهداية.

ثالثًا وأخيرًا رأيت في هذا الجسم النحيل، الذي كاد يعجز عن أن يحمل ثقله، روحًا قوية جدًّا، وقوة إرادة وقلب لم أجد مثلها في الشبان الأقوياء، والأبطال الأشداء، فكان يتحمل من المشاق ما ينوء بالعصبة أولي القوة، وقد يظل في أسفاره أيامًا متوالية لا يأكل فيها لشدة الاشتغال ويسهر ليالي.

وأعجب ما رأيت أنه كان في مرضه الذي توفي فيه، لا يستطيع القيام والقعود، ولكنه يأتي إلى الصف يتهادى بين رجلين ويقوم للصلاة، ولا يستقل بنفسه، فإذا كبر الأمام تركه الرجلان وقام بنفسه، كأنه غير الرجل ويقوم ويركع ويسجد من غير مساعدة، حتى إذا سلم الإمام خارت قوته، وعاد ضعيفًا، لا يستطيع النهوض، وبقي هكذا شهورًا، وما فاتته في مرضه صلاة إلى الليلة التي توفي فيها.

وقد توفي إلى رحمة الله تعالى في رجب (١٣٦٣هـ) وخلفه نجله الشيخ محمد يوسف وقام بأعباء الدعوة خير قيام، وفي عهده توسعت الدعوة توسعًا كبيرًا، وانتشرت بعثاتها في العالم الإسلامي شرقًا وغربًا، تدعو إلى الإيمان وإيثار الروح على المادة، والآخرة على الدنيا، والاعتماد على الله، وبذل الوسع والطاقة في سبيل الله، دعوة قوية صريحة أثرت في ألوف من الناس، فأصبحوا دعاة متطوعين، ولا يزال مقره (نظام الدين) في دهلي مركز حياة دينية، ودعوة إيمانية يؤمها الناس من جهات بعيدة.

٦- الشيخ المربي أبو الحسن الندوي[١]:

المربي العظيم، الداعية الحكيم، المفكرالمجدد، أشهر علماء شبه القارة الهندية في العصر الحديث الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي بن علي محمد بن أكبر شاه بن محمد شاه. ويمتد نسبه الشريف إلى الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أبصر العلامة أبو الحسن الندوي النور في (٦) محرم (١٣٣٣هـ) الموافق عام (١٩١٤م) بقرية "تكية كلان" الواقعة قرب مديرية "رائى بريلي".

نشأ في بيئة يسودها العلم، والفضل، والزهد، والتقوى، والأدب، والدين، والروحانية، بدأ دراسته الابتدائية بالقرآن الكريم في البيت، ثم دخل في الكتاب حيث تعلم مبادىء اللغتين (الأردوية والفارسية)، وكان عمره يتراوح بين التاسعة والعاشرة، إذ توفي والده الجليل عام (١٣٩١هـ، ١٩٢٣م). فتولى تربيته أمه الفاضلة، وأخوه الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني، وإليه يرجع الفضل في توجيه وتربية العلامة الندوي.

تعلم العربية على الشيخ خليل الأنصاري اليماني، ثم التحق بجامعة لكنؤ فرع الأدب العربي عام ١٩٢٧م ، ونال منها شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها، ثم التحق بدار العلوم - ندوة العلماء عام ١٩٢٩م وقرأ الحديث الشريف مع شيء من تفسير البيضاوي على العلامة المحدث الشيخ حيدر حسن خان الطوني، ودرس التفسير لكامل القرآن الكريم على العلامة المفسر المشهور أحمد علي اللاهوري في لاهور عام (١٣٠١ هـ/١٩٣٢م)، ثم انخرط في سلك التدريس عام (١٩٣٤م)، وعين أستاذا في دار العلوم - ندوة العلماء لمادتي التفسير والأدب.

---

(١) ينظر: الندوي: في مسيرة الحياة، دار القلم- دمشق، ط أولى (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، أحمد الجدع: معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين (٥١/١) وما بعدها، دار الضياء، ط أولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

تزوج عام (١٩٣٤م)، وعوّضه الله عن أولاده من الصلب ابن الأخ الداعية الكاتب محمد الحسني وأبناء الأخت الدعاة محمد الثاني، محمد الرابع، ومحمد الخامس وهو المعروف بـــ: واضح رشيد.

استفاد من الصّحف والمجلات العربية الصادرة في البلاد العربية – والتي كانت تصل إلى أخيه الأكبر، أو إلى دار العلوم ندوة العلماء– مما عرّفَه على البلاد العربية وأحوالها، وعلمائها وأدبائها ومفكّريها.

بدأ يتوسع في المطالعة والدراسة –خارجاً عن نطاق التفسير، والحديث، والأدب، والتاريخ أيضاً– منذ عام (١٩٣٧م)، واستفاد من كتب المعاصرين من الدعاة، والمفكرين العرب، وفضلاء الغرب، والزعماء السياسِيّينَ.

قام برحلة استطلاعية للمراكز الدينيّة في الهند عام (١٩٣٩م) تعرّف فيها على الإمام الشيخ عبد القادر الراي بوري، والداعية الشهير محمد إلياس الكاندهلوي، وبقي على صلة بهما، فتلقّى التربيةَ الروحيةَ من الأول، وتأسّى بالثاني في القيام بواجبِ الدعوة، وإصلاح المجتمع، فقضى زمناً في رحلات دعوية متتابعة للتربية والإصلاح، والتوجيه الديني على منهجه، واستمرت الرحلات الدعوية – على اختلاف في الشكل والنظام – إلى مرض وفاته في ذي الحجة عام (١٤٢٠هـــ).

أسّسَ مركزاً للدعوة الإسلامية عام (١٩٤٣م)، ونظّم فيه حلقاتِ درسٍ للقرآن الكريم، والسنّة النّبويّةِ، فتهافتَ الناسُ عليه لا سيما من الطبقةِ المثقفةِ، والموظّفِين الكبار، اختير عضواً في المجلس الأعلى لجامعة ندوة العلماء عام (١٩٤٨م)، وعُيّن وكيلا للشؤن التعليمية في هذه الجامعة، بترشيحٍ من السيد سليمان الندوي عام (١٩٥١م)، ثم وقع عليه الاختيارُ أميناً عاماً لندوة العلماء، بعد وفاة أخيه الدكتور عبد العلي الحسني عام (١٩٦١م).

وللشيخ أبي الحسن رحلات نافعة إلى بلاد الشرق الإسلامي، فقد خرج إلى عواصم الشرق سنة (١٩٥١م)، ليدرس وضع هذه البلدان الديني، والعلمي،

والاجتماعي، وليستفيد من تجارب علمائها، ورجالها، وليعرِّف ببلاده شبه القرة الهندية، وتجربة الدعوة والإصلاح فيها.

والشيخ أحد أعلام الدعاة إلى الإسلام في عصرنا بلا ريب ولا جدال، عبَّرت عن ذلك كتبه ورسائله ومحاضراته التي شرقت وغربت، وقرأها العرب والعجم، وانتفع بها الخاص والعام.

ومؤلفاته نافعة جامعة منها:

نظرات في الأدب، روائع إقبال، شخصيات وكتب، في مسيرة الحياة، قصص من التاريخ الإسلامي، قصص النبيين، روائع من أدب الدعوة، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، رجال الفكر والدعوة في أربعة أجزاء، الأركان الأربعة، الإسلام والمستشرقون، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، وغيرها الكثير.

وفي الثالث والعشرين شهر رمضان المبارك (١٤٢٠هـ)، وافاه الأجل المحتوم عن عمر يناهز (٨٦) عاما، فرحمة الله تعالى عليه وعلى علماء الأمة المبجلين.

* * *

المبحث السابع: مساهمة علماء شبه القارة الهندية في نهضة العلوم الإسلامية والعربية

ويشتمل على:

١- العلوم الشرعية.

٢- علوم اللغة والأدب والتاريخ.

أولًا: العلوم الشرعية:

أ- القرآن وعلومه[١]:

لعلماء الهند يد طولى في التأليف والبيان في التفسير وعلوم القرآن باللغة العربية، والفارسية، والأوردية:

منها:

- تبصير الرحمن وتيسير المنان في تفسير القرآن للشيخ علاء الدين الشافعي المتوفى (٨٥٣هـ)، وطبع في مصر في أربع مجلدات ضخام.

- فتح البيان في مقاصد القرآن للسيد صديق حسن خان القنوجي وصدر منه طبعة بالقاهرة في عشر مجلدات.

- نيل المرام في تفسير آيات الأحكام لصديق حسن خان.

- الإكسير في أصول التفسير لصديق حسن خان.

- إفادة الشيوخ بالناسخ والمنسوخ لصديق حسن خان.

- تفسير الزهراوين للشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي.

- فتح الخبير في علوم القرآن لولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي.

- الفوز الكبير في أصول التفسير لولي الله بن عبد الرحيم.

---

(١) استفدت ذلك من الدعوة الإسلامية في الهند د. محي الدين الألوائي (ص ٣٧٠) وما بعدها، الشيخ محمد يوسف البنوري: يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن (ص ٥٤، ٦٨، ٧٠، ٨٠ مجلس الدعوة والتحقيق كراتشي (١٣٩٩هـ).

- نهاية البيان في قراءة القرآن للسيد محمد الدهلوي.
- يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن للعلامة البنوري.
- مشكلات القرآن للعلامة الكشميري.

ب- الحديث الشريف وعلومه:

يقول العلامة عبد الحي الحسني في معرض الكلام عن دور الهند في خدمة الحديث الشريف وعلومه[١]: "اعلم أن محمد بن القاسم الثقفي فتح بلاد السند في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي، وتمكنت فيها دولة العرب كسائر البلدان، ودخلها أتباع التابعين، ورجال من أهل بيت النبوة، وتتابع الناس بعد ذلك من أهل العلم وسكنوا فيها، وتوالدوا، وتناسلوا، وسافروا، وتنقلوا في البلدان، وأخذوا الحديث النبوي ورووه بالحفظ والإتقان، مدة أربعة قرون، وسارت بمصنفاتهم الركبان إلي الآفاق".

وأفاض الشيخ عبد الحي الحسني في ذكر الأسباب التي أدت إلى اندثار علوم السنة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والتحية، في كثير من البلدان الإسلامية، واشتغال العلماء بعلم الفقه، والكلام، وغيرها، ثم وفق الله سبحانه وتعالي بعض العلماء من أهل الهند لخدمة الحديث وعلومه، حين أن نبض ماؤها في كثير من البلدان. وذكر طليعة العلماء الذين رفعوا صرح علوم الحديث في أرض الهند[٢].

---

(١) عوارف المعارف (ص ١٣٥) ط دمشق (١٣٧٧هـ).

(٢) المصدر السابق (ص١٣١) وما بعدها وانظر الدعوة الإسلامية في الهند (ص ٣٧٧)، محمد عبيد الله الأسعدي: دار العلوم ديوبند (ص ١٨٧) نشر أكاديمية شيخ الهند (٢٠٠٠م).

وقال الشيخ رشيد رضا: لولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر، لقُضِي عليه بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعُف في مصر والشام، والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة[١].

ومنها:

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للشيخ علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي المتوفى (٩٧٥هـ) ويقع في أربعة مجلدات مرتبا على نهج جمع الجوامع للإمام السيوطي رحمه الله سبحانه وتعالي.
- النوادر من حديث سيد الأوائل والأواخر للشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي.
- جوامع الكلم للمفتي إلهي بخش.
- الحرز المكنون من لفظ المعصوم المأمون في الحديث المتواتر لصديق حسن خان، وله أيضًا الأربعين في رد الشرك والبدعة، وعون الباري في شرح البخاري، والسراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج.
- الأربعين في معجزات سيد المرسلين للشيخ صبغة الله بن محمد المدراسي.
- بلغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب للإمام مرتضي البلجرامي.
- ظفر الأماني بشرح مختصر الجرجاني عبد الحي اللكنوي، وله أيضًا الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، والآثار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة.
- الإرشاد في مهمات الإسناد لولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي.
- لامع الدراري على جامع البخاري للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي.
- فيض الباري في شرح صحيح البخاري للكشميري.

---

(١) مقدمة مفتاح كنوز السنة للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي (ص٢٦) ط دار الحديث، (٢٠٠٧م).

- تراجم أبواب البخاري لولي الله الدهلوي.
- بذل المجهود في حل أبي داود للسهارنفوري.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم آبادي.
- تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي للمباركفوري.
- أوجز المسالك لموطأ مالك للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وله الكنز المتواري في معادن لامع الدراري وصحيح البخاري.

ج- الفقه وأصوله:

يقول العلامة عبد الحي الحسني "إن أهل الهند من أكثر الناس تصنيفًا في الفقه والأصول، وقد بلغت مصنفاتهم في الفقه أكثر من ألف مؤلف، ما بين كتب مستقلة في الفقه: الحنفي، والفقه الشافعي، وفي فقه الحديث، وفي مسائل الاجتهاد والتقليد، وكذلك الفتاوي والشروح على الكتب الفقهية المعتبرة[١].

منها:

- إعلاء السنن للشيخ ظفر أحمد العثماني.
- الفقه الميسر على مذهب الإمام أبي حنيفة للشيخ شفيق الرحمن الندوي.
- فتح المنان في تأييد مذهب النعمان للشيخ عبد الحق بن سيف الله الدهلوي.
- فتح المذاهب للمحدث فتح بن محمد البرهانبوري.
- القول الجازم في سقوط الحد بنكاح المحارم للشيخ محمد عبد الحي اللكنوي، وله أيضًا: الإفصاح عن شهادة المرأة في الإرضاع، السعاية في كشف ما في شرح الوقاية.

---

(١) عوارف المعارف (ص ١٠٥- ١٣٠).

- هداية الثقات إلى نصاب الزكاة للشيخ محمد مظهر بن أحمد سعيد العمري الدهلوي.
- القول الصواب في الحجاب للشيخ أشرف على التهانوي.
- أحسن التوضيح في مسألة التراويح للشيخ مشتاق أحمد.
- درك المآرب في آداب اللحى والشوارب للشيخ أبي البركات ركن الدين محمد المدعو به تراب علي بن شجاعت علي بن مولانا فقيه الدين.
- عقد الجيد في الاجتهاد والتقليد لولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي، وله أيضًا: الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف.
- معيار الحق للسيد نذير حسين الدهلوي.
- الحق في الرد على معيار الحق للشيخ محمد شاد الصديقي.

وأما مجاميع الفتاوي لعلماء الهند فكثيرة ونافعة وفي مقدمتها الفتاوي العالمكيرية المعروفة في العالم الإسلامي اليوم باسم "الفتاوي الهندية" وهي ستة مجلدات ضخام كبار(١).

- النبرة الوضيئة في شرح الجوهرة المضيئة لأحمد رضا البريلوي.
- ملتقط الحقائق شرح كنز الدقائق للشيخ عناية الله اللاهوري.

ثانيًا: علوم اللغة والأدب والتاريخ:

أ- في النحو والصرف:

- هداية النحو لسراج الدين الأودي.
- تقريب النحو للمولوي محمد سعيد.
- ميزان الصرف لوجيه الدين حسين.

---

(١) عوارف المعارف، (ص١١٠- ١١١)، والدعوة الإسلامية في الهند (ص٣٩٧)، الشيخ عبد الحي الحسني تاريخ الفقه الإسلامي في الهند (ص ١٠٢-١٠٤) ط مجمع اللغة العربية دمشق ثانية عام (١٤٠٣).

- خلاصة الصرف للمولوي علي عباس.
- الصافية شرح الشافية لصديق حسن خان القنوجي.
- هداية الصبيان شرح الميزان للشيخ رحمه الله بن نور الله اللكنوي.

ب- في علم البلاغة:

- ميزان البلاغة للشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي
- غصن البان بمحسنات البيان لصديق حسن خان.
- كتاب البلاغة للشيخ شمس الحق الحيدر آبادي.

ج- في الأدب العربي:

- الأثمار الشهية في إنشاء اللغة العربية للناصر حسين الكنتوري.
- الخطب المنبرية لصديق حسن خان.
- نشأة الطرب في أسواق العرب للقاضي محمد بن حسن أكبر شاة.
- علم الأدب في محاورات العرب لناصر الدين حسين الجونبوري.
- شرح ديوان المتنبي لأوحد الدين البلجرامي.
- مختارات من أدب العرب للعلامة الندوي.
- نعمة العرب لمولانا محمد إعزاز علي.
- شرح ديوان الحماسة لفيض الحسن السهارنبوري.
- شرح قصيدة البردة للقاضي شهاب الدين آبادي[1].

د- في التاريخ والسير والطبقات:

---

(١) المرجع السابق (ص ٤٢٠)، د. خالد الحامدي: مساهمة الهند في علوم الحديث النبوي مكتبة دعوة الإسلام دلهي، د. عبد الرحمن الغريواني: جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة ط الجامعة السلفية بنارس، محمد عبيد القاسمي: دار العلوم ديوبند (ص ٢٢٩) وما بعدها، نشر اكاديمية شيخ الهند ط أولى (٢٠٠٠م).

يمكن أن نقسم مؤلفات علماء الهند المسلمين في التاريخ إلى ثلاثة أقسام: في تاريخ الهند الخاص، والعام، وفي المغازي والفتوحات الإسلامية.

ومن كتبهم في تاريخ الهند الخاص:

- تاج المآثر للشيخ صدر الدين النظامي، وهو في أخبار ملوك الهند من سنة (٥٨٧ - ٦١٤هـ).
- التاريخ الكبير للشيخ كبير الدين العراقي.
- تاريخ فتنة الهند للعلامة فضل الحق بن فضل الله إمام الخير آبادي، وهو يتناول تاريخ عهد الإنجليز في الهند.

ومن كتبهم في التاريخ العام:

- تذكرة الكرام في تاريخ خلفاء العرب والإسلام للشيخ محمد الدانابوري.
- بدء الإسلام للشيخ شبلي بن حبيب الله الأعظمي.
- طلائع المقدور من مطابع الدهور للأستاذ صديق حسن خان.
- تاريخ الإسلام لأمير على.

ومن كتبهم في المغازي والفتوحات الإسلامية:

- فتوح مصر للشيخ مهدي حسين البنوري.
- المبكيات في أخبار الشهداء للشيخ نصير الدين البرهانبوري.
- مغازي صادقة في غزوات النبي برواية الواقدي للشيخ بشارة بن علي مروان.

وأما مؤلفات علماء الهند في السير فمنها ما هو مختص بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها ما يتناول سير الصحابة وأئمة المسلمين.

ومن مؤلفاتهم في السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والتحية:

- الحدائق الخضرة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة لعبد القادر الكجراتي.

- كتاب الشمائل لعبد الأول الدهلوي.
- مطلع الأنوار البهية في الحلية النبوية للشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي.
- كشف الأسرار في خصائص سيد الأبرار لولي الله بن حبيب الله اللكنوي.
- نور العينين في أخبار سيد الكونين للشيخ محمد بن عبد العزيز اللكنوي.
- السيرة المحمدية للسيد سليمان الندوي.
- السيرة النبوية للشيخ أبي الحسن الندوي.

ومن كتبهم في سير رجال العلم والدين:

- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للشيخ عبد الحي اللكنوي وهذا الكتاب في ثمانية مجلدات طبعة حيدر آباد، وطبع مؤخرًا باسم الإعلام بمن ورد في الهند من أعلام.
- شخصيات إسلامية من الهند للأستاذ الدكتور محي الدين الألوائي، ويشتمل على نبذة من السير لنخبة من دعاة الهند.
- شخصيات وكتب للشيخ أبي الحسن الندوي.
- أعلام المحدثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري للدكتور تقي الدين الندوي.

ولعلماء الهند مؤلفات عديدة في طبقات العلماء وكذلك طبقات الشعراء.

ومن كتبهم في طبقات العلماء:

- النور السافر في أعيان القرن العاشر للشيخ عبد القادر الحضرمي.
- آثار المحدثين لولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي.
- التاج المكلل والرحيق المختوم في تراجم أئمة العلوم لصديق حسن خان.

- الفوائد البهية في تراجم الحنفية للشيخ عبد الحي اللكنوي[١].

وبعد هذا التطواف أستطيع أن أقول: أرسل الله محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتمًا للرسل والأنبياء، وداعيًا إلى وحدانية الله، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، ووصل صوت الإسلام بلاد الهند في القرن الأول الهجري، وانتشر فيها بواسطة الدعاة وأهل التصوف والعلماء، وقد أدى الإسلام دورًا هامًّا في تحسين الحضارة الهندية وحياتها اليومية، فأزال منها الكثير من العادات القبيحة والرذيلة، وأدخل فيها العديد من العادات الحسنة والممدوحة، وذلك بفضل طبيعة هذه الدعوة، وملاءمتها لكل زمان ومكان وظرف، وكذلك خصائص أنظمتها الاجتماعية، حيث يجد فيها كل مجتمع متنوع الأجناس، ومتفرق الطبقات عناصر صالحة تنقذه من المضار الكامنة في نظام الطبقات، والعصبيات المناوءة للفطرة الإنسانية السليمة.

وقد استقبلت الهند عديدًا من العلماء البارزين، والمتعمقين في العلوم الإسلامية، الذين لجئوا إليها إثر الاضطرابات السياسية في العالم العربي، وقد أدى هؤلاء العلماء خدمات جليلة في نشر اللغة العربية والعلوم الإسلامية، هذا في جانب، وفي جانب آخر أنجبت الهند العلماء المتضلعين من العلوم النقلية والعقلية، الذين رفعوا شهرة الهند، وأصدوا صيتها في أرجاء العالم كله، فهذه الصفحات تسلط ضوءًا خاطفا على تاريخ الدعوة وتطوراتها في شبه القارة الهندية.

* * *

(١) عوارف المعارف (ص ٨٦)، جمال الدين الرمادي: الإسلام في المشارق والمغارب مطابع الشعب عدد (٨) (ص ٥٢، ٥٣)، الدكتور عبد الفتاح غنيمة حوار الحضارات (ص ٦٤،٦٦) مطابع جامعة المنوفية (٢٠٠٣م).

الخاتمة

وبعد الانتهاء من هذا البحث توصلنا للنتائج التالية:

إن الهند فسيحة الأرجاء، واسعة المساحات، كثيرة الظواهر الطبيعية، من المسطحات المائية، والجبال الشاهقة وغيرها، وأدى اتساع هذه المساحة إلى عدم وجود لغة موحدة للبلاد، فقد تعددت الأجناس، واللغات، والأعراق، والديانات، ففيها الملل، والنحل، والمذاهب المختلفة، والحركات المتعارضة والأديان القديمة، فالهند وطن المتنبئين والمتألهين الذين تصف ألسنتهم الكذب.

يرجع فضل انتشار الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية إلى دعاة من المسلمين العرب والهنود الذين تشبعوا بروح الإسلام السَّمْح، وتعود علاقة المسلمين بالهند إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فلقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام يعرفون الهند والأشياء الهندية.

إن المستعمر البريطاني دخل شبه القارة الهندية ونهب خيراتها، وعمل على إحداث الفتن بين المسلمين والهندوس، حتى تتم له السيطرة الكاملة على شبه القارة الهندية، ولما ازدادت الضغوط على المسلمين من جانب المحتل اختار المسلمون أن تكون لهم دولة خاصة بهم، فانقسمت إلى الهند وباكستان.

إن تاريخ الهند غني بنوابغ العلماء والدعاة إلى الله سبحانه وتعالى، الذين بذلوا النفس والنفيس في نشر الدعوة الإسلامية، وإحياء السنة النبوية، فلقد امتازت الأمة الإسلامية في الهند بأنها حافظت على الشخصية الدينية الأساسية التي نشأت عليها بتعاليم الإسلام، وساهمت في زيادة الثروة الفكرية، والعلمية، والأدبية، وفي بناء البلاد، والعمل على تنميتها، وترقيتها اجتماعيًّا، وأدبيًّا، ومدنيًّا، وبهذا كله أصبحت صورة الهند صورة مزدانة

بنماذج رائعة من الامتزاج الثقافي والعقلي وظهور الصورة الإسلامية الممتازة فيها، ونشأت للمسلمين من خلال ذلك شخصية إسلامية متميزة، فيها القوة، والأصالة، والغيرة، والاعتزاز.

* * *

أهم المصادر والمراجع

أبو الحسن الندوي: الدعوة والدعاة مسئولية وتاريخ، إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي ذو القعدة (١٤٠٨هـ) يوليو (١٩٨٨م).
أبو الحسن الندوي: ربانية لا رهبانية.
أبو الحسن الندوي، إذا هبت ريح الإيمان، مؤسسة الرسالة (ط ١٩٧٤م، ١٣٩٤هـ).
أبو المعالي أطهر: العقد الثمين، دار الأنصار القاهرة بدون.
أحمد الجدع: معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين، دار الضياء، ط أولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
أحمد الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، طبعة الآداب القاهرة بدون.
أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى ، ط النهضة المصرية ط سادسة.
تقي الدين الندوي: أعلام المحدثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري
جودة حسنين جودة ، محمد خميس بجغرافية أوراسيا الإقليمية، الإسكندرية سنة (١٩٩٨م).
جوستاف لوبون: حضارات الهند .
الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر (٢٠٠٢م)
الشهرستاني: الملل والنحل ، ط مطبعة الأزهر (١٩٥٥م) بتعليق د. محمد بن فتح الله بدران.
سيد عبد الماجد الغوري: أعلام المحدثين في القرن الرابع عشر الهجري، دار ابن كثير بيروت، ط أولى (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)
عبد الحليم الندوي، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند ،

مطبعة نوري مدارس الهند بدون.
عبد الكريم العفيفي: موسوعة ألف حدث إسلامي ، ط ثانية بيروت (١٤١٨هـ).
عبد المنعم التمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٠م)، تاريخ المسلمين في الهند.
لمحات من تاريخ العالم "جواهر لال نهرو" ط بيروت الترجمة العربية ط ثانية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى (١٣٧٧هـ، ١٩٥٨م).
محمد إبراهيم الجيوشي، البابية و البهائية ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (١٩٩٨م).
محمد أبو زهرة: مقارنات الأديان ط دار الفكر العربي.
محمد خير رمضان: تتمة الأعلام، دار ابن حزم بيروت، ط ثانية (١٤٢٢هـ).
محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، مكتبة وهبه ط ثانية عشر.
محمد الرابع الحسني : قضايا المسلمين في الهند بحث نشرته رابطة الأدب العالمية ط دار الرسالة بيروت (١٤٢٢هـ).
محمد خميس الزوكة: آسيا [دراسة في الجغرافية الإقليمية] ، الإسكندرية سنة (١٩٩٨م).
محمد زكريا الكاندهلوي: الشريعة والطريقة دار الرشيد القاهرة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين.
محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، طبعة المكتب الإسلامي بيروت ثانية

(١٤١٨هـ)
مسعود الندوي: الدعوة الإسلامية في الهند ، ط باكستان بدون.
ولي الله الندوي: الإمام عبد الحي اللكنوي، دار القلم دمشق (١٩٩٥م).

* * *

Almasadir & lmarajie:

1- 'abu alhasan alnadawii: aldaewat waldueat masyuwliat watarikhu, 'iidarat alsahafat walnashr birabitat alealam al'iislamii dhu alqaeda (1408h) yuliu (1988mu).

2- 'abu alhasan alnadwi: rabaaniat la rahbaniatun.

3- 'abu alhasan alnadawi, 'iidha habat rih al'iimani, muasasat alrisala (t 1974m, 1394h).

4- 'abu almaeali 'athari: aleaqad althamina, dar al'ansar alqahirat bidun. 'ahmad aljadea: muejam al'udaba' al'iislamiiyn almueasirina, dar aldiya'i, t 'uwlaa (1421h - 2000ma).

5- 'ahmad alsaadati: tarikh almuslimin fi shibh alqarat alhindiati, tabeat aladab alqahirat bidun.

6- 'ahmad shalabi: 'adyan alhind alkubraa , t alnahdat almisriat t sadisatun.

7- taqi aldiyn alnadawii: 'aelam almuhdithin fi alhind fi alqarn alraabie eashar alhijrii jawdat hasanin judat , muhamad khamis bijughrafiat 'uwrasya al'iiqlimiati, al'iiskandiriat sana (1998ma).

8- justaf lubun: hadarat alhind . alzarkali: al'aelami, dar aleilm lilmalayini, t alkhamisat eashar (2002m)

9- alshahristani: almalal walnahl , t matbaeat al'azhar (1955m) bitaeliq du. muhamad bin fath allh bidran. sayid eabd almajid alghuri: 'aelam almuhdithin fi alqarn alraabie eashar alhijrii, dar abn kathir bayrut, t 'uwlaa (1421hi, 2000m)

10- eabd alhalim alnadwi, marakiz almuslimin altaelimiat walthaqafiat waldiyniat fi alhind , matbaeat nuri madaris alhind bidun.

11- eabd alkarim aleafifi: mawsueat 'alf hadath 'iislamiin , t thaniat bayrut (1418h).

12- eabd almuneim altamaru: kifah almuslimin fi tahrir alhinda, alhayyat almisriat aleamat lilkitab (1990mi),

13- tarikh almuslimin fi alhindu. lamahat min tarikh alealam "jwahir lal nahru" t bayrut altarjamat alearabiat t thaniatan, majalat maehad aldirasat al'iislamiati, aleadad al'awala, alsanat al'uwlaa (1377h, 1958ma).

14- muhamad 'iibrahim aljayushi, albabiat w albahayiyat t almajlis al'aelaa lilshuyuwn al'iislamia (1998ma).

15- muhamad 'abu zahrata: muqaranat al'adyan t dar alfikr alearabii.

16- muhamad khayr ramadana: tatimat al'aelami, dar abn hazam bayrut, t thaniatan (1422h).

17- muhamad albahi: alfikr al'iislamii alhadith wasalath bialiastiemar algharbii , maktabat wahabh t thaniat eashra.

18- muhamad alraabie alhusni : qadaya almuslimin fi alhind bahath nasharath rabitat al'adab alealamiat t dar alrisalat bayrut (1422h).

19- muhamad khamis alzuwkat: asia [dirasat fi aljughrafiat al'iiqlimiati] , al'iiskandariat sana (1998ma).

20- muhamad zakariaa alkandihlwii: alsharieat waltariqat dar alrashid alqahira (1400h - 1980mi).

21- muhamad farid wajdi: dayirat maearif alqarn aleishrina.

22- mahmud shakiri: altaarikh al'iislami, tabeat almaktab al'iislamii bayrut thaniatan (1418h)

23- maseud alnadwi: aldaewat al'iislamiat fi alhind , t bakistan bidun.

waliu allah alnadawii: al'iimam eabd alhayi alliknawi, dar alqalam dimashq (1995mi).